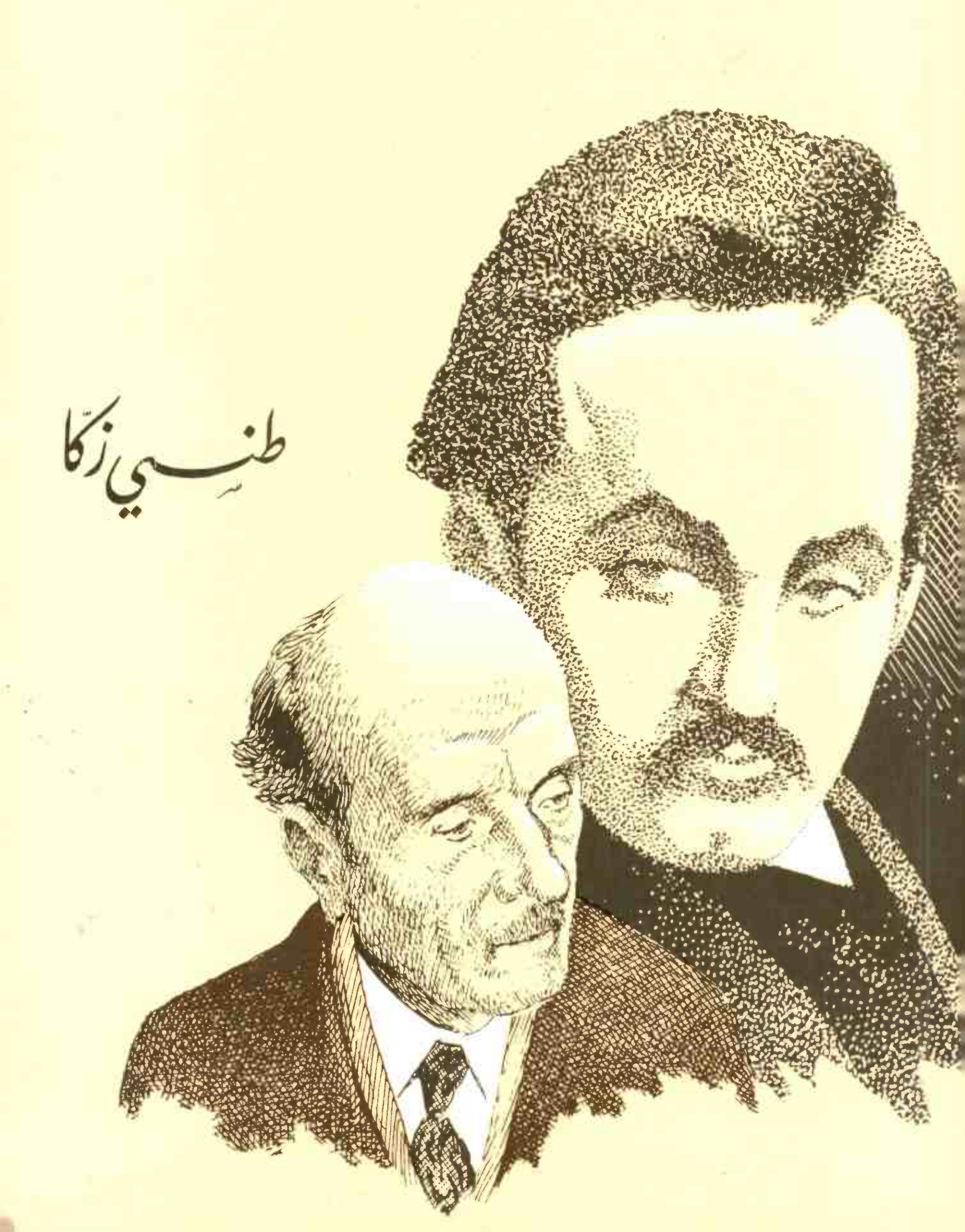
بين نعيمة وجبران



طني زكا

بين نعيمة وجبران

الطبعة الثالثة

تشرين الأول - أكتوبر
١٩٨٨

يطلب من مكتبة المعارف — ص ب — ١٧٦١ بيروت - لبنان

طنسي زكا

بين نعيمة وجبران

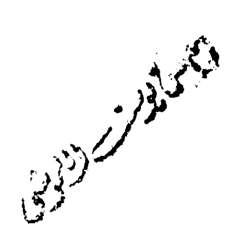
مكتبة المعارف
بيروت

للمؤلـــف

رياح الليل	ديوان شعر
الشراع	ديوان شعر
الفطـنة	مسرحيـــة
علي بن ابي طالب امام	بحث ادبي تاريخي
العدالة وشهيدها	اطروحة دكتوراه في الآداب

الاهداء :

الى وجـــهٍ طفوليّ   اذا شاهدتُهُ أسكر
كمرآةٍ عليهـا نورٌ   انقى خافــق يظهر
كوجه بحيرة في الحلمِ   يلثمه السنى الاشقر
كقنديل الاماني الزُهرِ   في غاب الهوى الأخضر
أراه فأقرأ الالهـامَ   مكتوباً على دفـــتر
والمح آخر الآفـاق   حـــدّ العالم الاكبر
الى من زورقي الشعريّ   نحو جمالها ابحـــر
لأكتب عن سناء الروح   شعراً بالدم الاحمـــر



مقدمـــة

في التاسع من ايار سنة ١٩٣٢ عاد نعيمه الذي عرف جبران منذ سنة ١٩١٦ حتى وفاته في ليلة العاشر من نيسان ١٩٣١ ، الى مسقط رأسه بسكنتا . ولم تمض سنتان على وصوله الى بسكنتا حتى اصدر كتابه « **جبران خليل جبران ، حياته ، موته ، ادبه ، فنه** » . فأثار هذا الكتاب موجة من الجدل العنيف بين نعيمه من جهة واصدقاء لجبران من جهة اخرى . وحتى اليوم لم يحسم هذا الجدل، يقوم بين كثيرين ، منهم من يجل جبران وينزهه عن اشياء كثيرة اوردها نعيمه في مؤلفه السابق الذكر ، ومنهم من يصدق او يميل الى تصديق ما ذكره نعيمه بوصفه اقرب الاصدقاء الى جبران ، ومنهم فريق ثالث نصيبه الحيرة بين هؤلاء واولئك .

ولعله اصبح بالامكان ان نجلو الغموض عن كثير من النقاط التي كانت موضعا للخلاف ومثارا للجدل في حياة جبران ، وذلك بعد ان خرجت الى الضوء مجموعة ضخمة من الرسائل التي تبادلها جبران وماري هاسكل ـــ المرأة التي كان لها شأن في حياة جبران لم يكن لسواها ـــ تضم ٣٢٥ رسالة من جبران الى ماري وزهاء ٣٠٠ من ماري الى جبران ، وبعد ان خرجت الى الضوء مذكرات ماري ويومياتهـا

« وجانب كبير من هذه المذكرات واليوميات (المجلدات ١؛ ـ ٦٨) مكرس لجبران ولعلاقاتهما معا » • ولم يدفعني الى كتابة هذه الاطروحة رغبتي في الوصول الى حقيقة جبران فحسب. الذي «مهما كان الرأي النقدي في تناجه•• شخصية وحضور وتاريخ لا يسكن التغاضي عنه » بل دفعني الى كتابتها ما يراه توفيق صايغ من انه « من الالوان الأدبية المختلفة المعروفة لدينا لا ينقصنا لون اكثر مما ينقصنا الادب الشخصي » وما يراه الدكتور خليل حاوي في كتابه عن جبران من ان « حياة جبران هي التي تستدعي التعليق اكثر مما يستدعيه نتاجه » • وفضلا عن ذلك ومن البديهي انه لا يمكن فهم ادب جبران او أدب اي كاتب آخر الا على ضوء حياته وبيئته وظروفه • وعليّ ان الفت النظر منذ الآن الى ان البحث الذي انا بصدده يقوم على المقابلة بين الآراء المختلفة وتحليلها ولذلك كثرت فيه الاستشهادات وكانت الاستشهادات من طبيعة البحث •

وارجو ان اكون وفقت لما اسعى اليه بفضل الدكتور سعيد البستاني والدكتور جبور عبد النور اللذين أشرفا على الأطروحة[1] واللذين أسديا اليّ النصائح القيمة•وبفضل

---

١ ـ هذا الكتاب هو الاطروحة التي نال المؤلف على اساسها شهادة الكفاءة التعليمية في اللغة العربية وادابها من كلية التربية ـ الجامعة اللبنانية .

كثيرين غيرهما لا يسعني الا ان اذكر منهم : الدكتور انطوان غطاس كرم ، والدكتور خليل الحاوي والدكتور توفيق صايغ .

ورأيت ان اقسم البحث الى ثلاثة اقسام رئيسية : قسم استخلص فيه صورة جبران المشرقة من كتاباته ، وقسم استخلص فيه صورة جبران من كتابات نعيمة، وبعدئذ قسم ثالث نعطي فيه حكمنا على نعيمه او له في كتابه عن جبران.

وقبل ان اختتم هذه المقدمة لا بد من التوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير للأديب الكبير مخائيل نعيمه الذي اعطاني الكثير من وقته في مقابلات ثلاث اجريتها معه .

عن طرابلس ٣/١٠/١٩٦٩



الفصل الأول

صورة جبران في مؤلفاته

قبل ان تنطرق الى تلك المسائل التي اثارت الجدل الكثير في كتاب نعيمه عن جبران ثم قبل ان ننتهي الى مناقشتها وتقييم كتاب نعيمه عن جبران بمجمله — علينا ان نقع على صورة جبران في مؤلفاته كما رسمتها تلك المؤلفات لنقارنها فيما بعد بتلك الصورة التي يرسمها لنا نعيمه في كتابه معتمدين المقارنة سبيلا للوصول الى حكم على نعيمه او له في كتابه عن جبران •

ففي كتابات جبران ورسومه تطالعنا صورة مشرقة لروح صافية صفاء ندى الفجر وطاهرة طهارة زنبق الحقول، روح توافة يضنيها الحنين الى ما لا يحد ، صورة فيها مثالية الشرق وروحانية انبيائه ولا نهاية الشوق الغيبي الذي اترع قلوبهم ، وصوفية اولئك الذين امضوا الحياة جهادا روحيا متواصلا ليتدرجوا في مراتب الصوفية درجة درجة كي يصلوا الى درجة الاتحاد بالله والفناء فيه •

وفي تلك الصورة المشرقة لجبران يبدو جبران الثائر

المتمرد الذي يرفع صوت المظلومين ويدافع عن الضعفاء ويهاجم، بلا هوادة، مستغليهم والمؤسسات التي يرى فيها التسلط والفساد • كما يبدو جبران في مؤلفاته محبة صافية شاملة مطلقة بمفهومها المسيحي ذي الابعاد غير المنظورة ، فالمحبة لديه محور ومنطلق وشريعة وعمل واساس وقاعدة لكل صلاح وخير وجمال ، يسمو على اجنحتها الى عالم فوق المادة والطمع المادي حيث يجد اللذة الكبرى في العطاء ولو كان ما يعطيه دم القلب ونور العينين وزهرة العمر • ومن يتأمل لوحات جبران، لا بل من يتأمل كتاباته التي لا تنفصل ابدا عن الموسيقى والرسم والتصوير — يشعر انه امام فنان رسام لا عهد للشرق به يقدم للعالم فنا متطورا فيه براعة وحلاوة وجدة وابداع ونكهة شرقية فريدة •

وفي كتابات جبران نقع على الينبوع الثر الذي استقت منه اقلام ادبية كثيرة وشربت من مائه زهور الأدب ورياضه في عصر النهضة فاينعت ونست فتية مشرقة تملأ العين بهجة والقلب املا • الامر الذي اظهر ان جبران مدرسة ادبية بكل ما في هذه الكلمة من معنى سيطرت خصائصها على ارواح المنشئين والكتاب وطبعت الأدب العربي بطابعها الحديث الجميل • ولنلمّ بجوانب هذه الصورة المشرقة لهذه الشخصية الادبية الرائدة علينا ان نعرف جبران في كل ناحية من نواحيه • ولذلك نقسم البحث الى العناوين التالية:

١ ـ جبران والحب الصوفي البريء والمحبة في اسمى مظاهرها ٠

٢ ـ جبران الثائر على التسلط والفساد والمدافع عن المظلومين والضعفاء ٠

٣ ـ جبران الداعي الى السمو فوق المادة والطمع المادي ٠

٤ ـ جبران المدرسة الأدبية ٠

٥ ـ جبران الرسام الفنان ٠

جبران والحب الصوفي والمحبة
في اسمى مظاهرها

الحب والمحبة لدى جبران بيدر وغلال وينابيع ثرة ورياض تمتلىء بتيجان الزهر يعطي منها ويفيض عطاء، يعطي وكأنه يأخذ، يعطي دون ان يستشعر ألما او فرحا .. بل كما يتضوع الريحان في الوادي . ولم اميز هنا بين الحب والمحبة لأنني رأيت حدودهما متداخلة لدى جبران ورأيت واحدهما يتولد من الآخر ويكمله فكأنهما وجها حقيقة واحدة ، وما ذلــك الا لأن جبران بث في كتاباته حبا صوفيا له ابعــاد ميتافيزيكية يسمو على طبيعة اللحم والدم ويتعالى فــوق المادة والتراب فيلتقي مــع المحبة الشاملة لكــل شيء في الوجود . ففي قصة الأجنحة المتكسرة : بلغ تقديس الحب ذروته ، اذ جعله بالنسبة للمرأة والرجــل والمجتمع اساس التحليل والتحريم واساس السعادة والمعرفة والحقيقة ؛ يعيد الانسان الى فطرته، الى حقيقته الاولى ونعيمه الأول. ويحرره من سجن الجسد والمادة ويقربه من الله ؛ فمن يحب كمن يتعبَّد يتخلى عن طينته الكثيفة المظلمة وتتجلى له اعماق النفس والوجود . فالحب لا يفسد المرأة ولا الرجل وانما يضيء النفس بشعلته المقدسة شعلة الحنــان الى المطلــق والشوق الى اللانهائي . فهو على حد تعبير جبران « حب

علوي لا يعرف الحسد لانه غني ، ولا يوجع الجسد لأنه في داخل الروح ، ميل قوي يغمر النفس بالقناعة مجاعة عميقة تملأ القلب بالاكتفاء » [١] . وكان جبران يذهب لزيارة سلمى كرامه مثـل متصوف تجذبه السماء الـى مسارح الرؤيا وكان عندما يلتقيها يخلد ساعات طويلة الى الصمت واجدا لذة فائقة في الهيام بالنظر وتأمّل ذلك الوجه الذي يراه كأنه السماء بآفاقها الساحرات . وبعد زواج سلمى لم يجد غضاضة في ان يلتقيهـا في بقايا هيكل مهجـور حيث يتناجيان ويتشاكيان دون عناق او قبـل وكأنهما ملاكان يقومان بفرض من فروض العبادة امام السدة الالهية ، فهما بريئان من العار والأثم « لان النفس اذا تطهرت بالنـار واغتسلت بالدموع ترفع عما يدعوه الناس عيبا وعارا، وتتحرر من عبودية الشرائع والنواميس التي سنتها التقاليد لعواطف القلب البشري، وتقف برأس مرفوع امام عروش الالهة» [٢]. ومع ان هذه الدرجة الصوفية من الحب الذي يكتفي باللقاء المنزّه عن غايات الجسد بالغة السمو والرفعة الا ان جبران يلمح درجة بعدها اذ يجعل سلمى تضحي « بالمحبة المحدودة التي تطلب امتلاك المحبوب [٣] » في سبيل « المحبة غـير المحدودة التي لا تطلب غير ذاتها [٤] » فتقلع عن زياراتها

---

١ ـ المجموعة العربية ص ١٩٢

٢ ـ المجموعة العربية ص ٢١٧

٣و٤ ـ المجموعة العربية ص ٢٢٣

السرية للهيكل المهجور .

والحب الجبراني له طابع الخلود في اقصوصة (**رماد الأجيال والنار الخالدة**) فالحبيبان خالدان يسوتان ويولدان ليكملا قصة الحب الى انطلاق الدهور (فالابدية لا تحفظ الا المحبة لانها مثلها) [1] . وطابع الخلود هذا الذي يطبع الحب الجبراني يتجلى في خاتمة المحاورة التي يجريها جبران بين الهة الأرض الثلاثة في قول الاله الثالث : «نحن سيكتنفنا الغسق . وقد نستيقظ لنرى فجر عالم غير هذا العالم . اما الحب فسيبقى . وآثار اصابعه لن تمحى الى الأبد » [2] .

والحب الجبراني له طابع مقدس ، وليس الا الله الذي يزرعه في القلب البشري . ولا يستطيع القلب البشري ان يبدعه دون مشيئة السماء « لأن المحبة قوة تبتدع قلوبنا ، وقلوبنا لا تقدر ان تبتدعها» [3]. وفي رسائل جبران الى ماري هاسكل ما ينبئنا انـه يقف امام الأجساد العارية الرائعـة الجمال التي يرسمها وقوفه امام قوة علوية تتجلى امامه وقد لبست جسد امرأة فاتنة . فيقبل على تأملها والتمعن فيها تأملا وتمعنا يلهيانه عن كل شهوة او نزوة .ويطلب من ماري أن

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٢٥٤
٢ ـ المجموعة الانكليزية ص ٢٩٤
٣ ـ المجموعة العربية ص ٨٦

تصدق الفنان الأصيل اذا قال ان اجساد اللواتي يجلسن له ليرسمهن لا يثرن فيه شهوة الجنس وان الجسد العاري لا قيمة جنسية له بالنسبة اليه [١] .

ويؤكد جبران على ان للحب دورا في لجم الشهوات ويخاطبه وكأنه الله ذو القدرة . ولا شك ان المفهوم المسيحي القائل ان الله محبة يلعب دوره هنا في تفكير جبران ، فهو يناجي الحب هذه المناجاة « ايها الحب ، يا من لجمت يداه الربانيتان شهواتي وحولت مجاعتي وعطشي الى اباء وشمم .. لا تجعل الثابت فيّ والقوي يأكل الخبز ويشرب الخمر اللذين يستهويان ذاتي الضعيفة ، بل دعني اجوع ودع قلبي يحترق عطشا ، بل دعني أموت واندثر قبل أن أمد يدي الى كأس لم تملأها أنت او الى وعاء لم تباركه » [٢] .

وبكلمة واحدة : كانت نظرة جبران للمرأة نظرة بالغة السمو فهي كما قال عنها في يسوعه : « ستبقى ابدا رحما ومهدا وقط لن تكون رمسا [٣] » . وخير ما يمثل دور المرأة في حياة جبران وفي تحقيق ذاتيته وفي تلوين ادبه ما ذكره في رسالة الى (ميّ) : «انا مديون بكل ما هو انا الى المرأة مذ كنت طفلا حتى الساعة . والمرأة تفتح النوافذ في بصري

---

١ ــ تراجع صفحة ٢١. من كتاب (اضواء جديدة على جبران) .
٢ ــ المجموعة الانكليزية ص ٥١ ــ بربارة يونغ صفحة ٨.
٣ ــ المجموعة الانكليزية ص ٣٢٥

والابواب في روحي. ولولا المرأة الأم والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هؤلاء النائمين الذين يشوشون سكينة العالم بغطيطهم . » .

وكما احب جبران المرأة أحب لبنان وانسان لبنان ثم اتسعت دائرة محبته حتى شملت العالم والانسانية كلها . فلقد هام حبا بموطنه الصغير لبنان ، ففي جبال لبنان التي كأنها قنائم النور ومدارج بين الأرض والسماء ــ تفتحت عبقريته ، ومن الوان اغساقها الحالمة واسحارها الساحرة استمد الوان الهامه . فلا عجب ان يفيض قلب جبران حبا للبنان وانسان لبنان فيتغنى بمفاتنه ويحس اوجاعه في كل نبضة من نبضات قلبــه الحساس ، وان ينتفض وجدانــه انتفاضة الالم العميق لكل مشهد من مشاهد الذل والظلم والرياء في هذه البقعة التي أحبها الى درجة العبادة وأرادها طاهرة كالفردوس . ولذلك كانت كل بواكير انتاجه من وحي لبنان[1]، وظل لبنان العزيز على قلب جبران مؤثرا رئيسيا في انتاجه كله: العربي والانكليزي. وما ذلك الحنين الى الطبيعة الذي نشاهده في (المواكب والنبي) الا تعبير عن حــب الطبيعة اللبنانية المسيطر على شغاف قلبه ، وما تلك المقالات التي كانت تصدر عن قلمه بين الحين والآخر من امثال (لكم

١ ــ تراجع مقدمة المجموعة العربية بقلم نعيمه

لبنانكم ولي لبناني) ومن امثال (شاعر من لبنان) الا الدليل على ان لبنان ظل لديه المبتغى والقبلة المرتجاة والوحي الذي لا يموت . وفي مقاله (مات اهلي) يبلغ منتهى المحبة والرقة والعذوبة والحنان فيتمنى لو كان سنبلة من القمح نابتة في تربة لبنان يقتات بها طفل جائع ، او ثمرة يانعة في بساتين لبنان تجنيها امرأة جائعة ، او طائرا في فضاء لبنان يصطاده صياد جائع . ويهتف بألم مرير ويندب باكيا اهلـه الذين يتلقفهم الموت جوعا « مات اهلي على الصليب ، ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين ، ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين ، ماتوا لانهم كانوا مسالمين » [1] .

ومن محبة لبنان ينطلق جبران الى محبة العالم بكل ما فيه من اخلاص الانسان وحنين الشاعر وحيوية الفنان ، وهي الصفات الثلاث التي يتكون منها ذلك الأديب الذي ندعوه جبران خليل جبران . فلقد كان جبران انسانا يحب كل انسان على وجه الأرض خارجا عن حدود الدين والجنس والاقليم. فكل انسان هو اخوه في رابطة الانسانية الكبرى، او هو صورته في محيط الوجود الواحد الذي لا ينفصل. وبالنسبة لجبران « كانت المحبة هي ربه ومعلمه على كل حال » [1] .

---

١ ــ المجموعة العربية ص ٤٢٠

٢ ــ آلهة الأرض المجموعة الانكليزية ص ٣٩١

وكان شاعرا يرسم بدم القلب ويكتب بعصير الروح ليغني افراح الانسانية ويبكي اوجاعها . وكان فنانا يعبر بالخطوط والالوان عن نوازع النفس البشرية ويصور آلام الانسانية وامالها ، قد جنّد كل مواهبه العالية لقيادة البشرية الى الجمال والخير والحق ، والى الحب والسعادة والحرية . ولا غرو فجبران اول اديب عربي في العصر الحديث جهر بايمانه المطلق بوحدانية الوجود ، فهو دائما « يرى صورته في كل الصور ويسمع صوته في كل الاصوات »[1] . ويقول : « خيل اليّ في الأمس اني ذرة تتموج مرتجفة في دائرة الحياة بغير انتظام واليوم اعرف كل المعرفة اني انا الدائرة، وان الحياة بأسرها تتحرك فيّ بذرات منتظمة»[2]. لذلك لا غرابة في ان يبذل حبه للناس وان تكون محبته « لا تعطي الا نفسها ، ولا تأخذ الا من نفسها ... ولا تملك شيئا ... لانها مكتفية بالمحبة »[3].

اذن فالمجتمع الانساني هو الألف والياء في أدب جبران وهو الحقل الذي يغرس فيه عصارة روحه وشعوره وفيض عقله وخياله ، وكل ما خلفه لنا جبران من بدائع ادبه ومن روائع فنه نفحات من المحبة الكبيرة يبذلها لابناء الحياة

١ ـ المجموعة الانكليزية رمل وزبد ص ١٦٠.
٢ ـ المجموعة الانكليزية رمل وزبد ص ١٥١
٣ ـ المجموعة الانكليزية النبي ص ٨٨

المتعطشين الى المحبة الحقيقية • فجبران الشاعر المتمرد في (الأجنحة المتكسرة ، والأرواح المتمردة ، وعرائس المروج ، وحفار القبور ، والعواصف) والحالم الهائم في (دمعة وابتسامة) والحكيم المتأمل في (المجنون ، والسابق ، والمواكب) والهادي المبشر في (النبي) هو عينه جبران المحب للانسانية في كل هذه الكتب • ففي مرحلة التمرد والثورة رأيناه يهاجم الكهنة المتسلطين على الأرواح والحكام والاقطاعيين المسيطرين على الأجساد ورأيناه يحفر القبور ليدفن فيها كل ما ينغّص سعادة الانسانية من حماقات بعض ابنائها الذين يعيثون فيها فسادا ليبنوا لأنفسهم مجدا وجاها وسلطانا وثروة على حساب البعض الآخر•• ويدعون كل ما يعملون شرائع مقدسة • وهو يسخر كل فنه وشاعريته في محاولة الوصول الى كل قلب وكل ضمير وكل ادراك ليوقظ في الناس الشعور الحي بانسانيتهم التي يجب ان لا تفل ولا تضعف • ففي هذه المرحلة ثار ثورته المشهورة على كل ما في الحياة من لؤم وجهل وضعف ، وهل الثورة على اللؤم والجهل والضعف الا محبة كبرى للانسانية التي ترزح تحت اعبائها الثقيلة ! وحتى حين يهتف بمرارة ساخطة قائلا:

« اني اكرهكم يا بني أمي لأنكم تكرهون المجد والعظمة .

انا احتقركم لانكم تحتقرون نفوسكـــم » [1] . أليست كراهيته هذه حبا مقدسا مخلصا ؟ لقد قال هـــو نفسه في سبب هذه اللهجة الساخطة ما يلي : « لا بأس فاني سأحبهم اكثر .. نعم ، اكثر فأكثر ، ولكني سوف اسدل على محبتي ستارا من البغض واستر عواطفي بشديد كراهيتي » [2] . واضاف قائلا : « كذا شهرتكم بشفتي ولكن قلبي والدماء تنزف منه كان يدعوكم بأرق الأسماء واحلاها » [3] .

وفي المرحلة الحالمة كان يتكلم عن الانسانية المقدسة التي هي روح الالوهية على الأرض ، وكان يرى نفسه غريبا في بلد واحد وأمة واحدة . فالارض كلها وطنه والعائلـة البشرية عشيرته. كما وجد الأنسان ضعيفا من الصغر ان ينقسم على ذاته والأرض ضيقة ومن الجهل ان تتجزأ الى ممالك وامارات [4] .

اما في مرحلة الحكمة فيكشف جبران عن حقيقة قلبه المتفجر بالحب الشامل، تلك الحقيقة التي كادت مرحلة التمرد النتشوي ان تسدل عليها ستارا ؛ لأن الهجوم الصاعق الذي شنه على الناس والمؤسسات كاد يستر الغاية الحقيقية التي

---

١ ـ المجموعة العربية المعواصف ص ٣٨٢
٢ ـ المجموعة الانكليزية السابق ص ٧٦
٣ ـ المجموعة الانكليزية ص ٧٧ .
٤ ـ يراجع مقال صوت الشاعر من دمعة وابتسامة بصورة خاصة .

كان يتوخاها من هجومه ذاك .. الا وهي اصلاح الناس ومؤسساتهم لما فيه خير الناس الذين ابكته تعاستهم ثم فجرّت بعد ذلك غضبه عليهم لعل اسلوب التقريع يجدي في ايقاظهم اكثر مما يجدي اسلوب التفجع والمشاركة بالمأساة فهو بعد ان يشرح حقيقة مشاعره عندما كان يصب جام غضبه عليهم فيشهّرهم بشفتيه بينما قلبه تنزف منه الدماء ويدعوهم بأرق الاسماء واحلاها ـ يعلن محبته بنغمة شجية « يا اخوتي وجيراني ويا ايها المارون ببابي كل يوم ... لقد احببتكم كثيرا وفوق الكثير ، قد احببت الواحد منكم كما لو كان كلكم ، واحببتكم جميعا كما لو كنتم واحدا ... أحببتك ايها القوي مع ان آثار حوافرك الحديدية لا تزال ظاهرة في لحمي ، واحببتك ايها الضعيف على رغم انك جففت ايماني وعطلت عليّ صبري »[1] . وجبران الذي يحرق نفسه ليضيء السبيل بكلماته وينشد الأغاني الحلوة بينما قلبه يطفح بالحزن والمرارة ترى له صورة في قوله : « ما انبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه عن ان ينشد اغنية مع القلوب الفرحة »[2] . وتجد نفسه المشبعة بالرقة ومحبة الخير في مثل قوله « اجعلني يا الله فريسة للاسد قبل ان تجعل الأرنب فريسة لي »[3] . وايضا في مثل قولــه

---

١ ـ المجموعة الانكليزية السابق ص ٧٤

٢ ـ م.ن. رمل وزبد ص ١٦١ .

٣ ـ المجموعة الانكليزية ص ١٥٥

« البغض جثة راقدة فمن منكم يريد ان يكون قبرا » [1].

اما في مرحلة الهداية والتبشير ، مرحلة النبي وحديقة النبي، فلهيب من الحب الشفاف يضطرم في قلبه نحو العالم كله والناس جميعا يجعل النفس الحساسة تشعر برغبة في البكاء . واليكم مقطعا من امثال تلك المقاطع التي تضم كنوز الحب الصافي « سأحيا عبر الموت وسأغني في آذانكم حتى بعدما ترجعني موجة البحر الواسع الى اعماق البحر المديدة ، سأجلس في مركبكم ولو بدون جسد وسأذهب معكم الى حقولكم روح غير منظورة وسآتي اليكم واجلس قرب مواقدكم ضيفا لا يُرى » [2] . فالايمان بالمحبة في كتاب «النبي» بصورة خاصة فكرة رئيسية تصدر عنها الأفكار المختلفة . فالمحبة مصدر كل خير وجبران يحب ويتألم في محبته بالالم كالرومانسيين لأن الالم يقرّبه الى نفسه والى الله ويسقط عنه ثقل التراب ووطأة اللحم والدم ويغدو كروح او طيف تتعبد للمحبة ويدعو لها لا يميل به ميل شرير ولا تنزو به نزوة للعقاب . فهو يطلب من الناس ان يتبعوا المحبة مهما كانت مسالكها وعرة فالمحبة تكلل هامة الانسان المحب وترفعه الى اسمى المستويات ولكنها في الوقت ذاته

---

١ ـ المجموعة الانكليزية ص ١٧٩
٢ ـ [illegible] ص ١٨١

تصلبه وتطحنه لكي تجعله نقيا كالثلج . وعندما يحب الانسان يصبح في قلب الله ، اي يتحد بالله ويصبح معه شيئا واحدا . والمحب يذوب ويكون كجدول متدفق يشنف آذان الليل بانغامه ويجرحه ادراكه الحقيقي للمحبة في حبة قلبه وتنزف دماؤه وهو راض مغتبط . وعن المحبة تتفرع المواضيع المختلفة . فجبران يرى الرابطة الحميمة بين العطاء والمحبة ، فالعطاء تجسيد للمحبة الكاملة وحلول فيروح الحياة الكلية التي تغذي الحياة وتغتذي منها . او ليس محبة العطاء الذي يصفه جبران بانه ذاك الصادر عن النفس « الذي لا يتطلب فرحا ولا يعاني المًا والذي يتضوع كما يعطي الريحان عبيره العطر في الوادي » ؟ او ليسوا محبين اولئك الذين يعطون تلقائيا لان العطاء طبيعة لديهم « هؤلاء الذين يتكلم الله بمثل ايديهم ومن خلال عيونهم يبتسم على الأرض » ؟ وهنا يخيل لجبران ان الانسان لا يعطي هو بذاته « وانما الحياة هي التي تعطي الحياة » بواسطته ، وليس الانسان سوى شاهد بسيط على ذلك . او ليس هذا المعطي الذي يجد نفسه شاهدا فقط في موكب الحياة هو محب صوفي بلغ ذروة الحب اذ زهد بكل شيء فحوله الى اخيه لا يبتغي جزاء ولا شكورا ؟ او ليس هؤلاء النموذجيون في العطاء والهبة قبسا من روح جبران التي باتت تدرك الحدود القصوى للمحبة المطلقة ؟

فالمحب يصبح في قلب الله .. ومن يصبح في قلب الله هل يرى من فاصل بينه وبين انسان ؟ اولا يصبح كل انسان فيه وهو في كل انسان ؟ ومن كان كذلك كيف له ان يقول اعطيت فلانا او اخذت من فلان ، اوليس هو الآخذ عندما يعطي والمعطي عندما يأخذ ؟ واذ ذاك ففضل من يعطي كفضل من يأخذ لا أكثر ولا أقل .

ويرتبط العمل كذلك لدى جبران ارتباطا عضويا بالمحبة، فبالعمل النافع يفتح العامل قلبه ومن احب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة اعماقها وتدنيه من ابعد اسرارها . ويجعل جبران المحبة قاعدة لاشياء كثيرة اذا بنيت على المحبة تبددت ظلمة الحياة الحالكة « فالحياة ظلمة حالكة ان لم ترافقها الحركة والحركة تكون عمياء ولا بركة فيها ان لم يرافقها العمل ، والعمل يكون باطلا وبلا ثمر ان لم يقترن بالمحبة » .

ولا اعتقد الا ان خلاصة ما في المسيحية والبوذية والصوفية الاسلامية من شفافية تتجلى في تعريف جبران للعمل المقرون بالمحبة ، فالعمل المقرون بالمحبة « هو ان تحوك الرداء بخيوط مسحوبة من نسيج قلبك مفكرا ان حبيبك سيرتدي ذلك الرداء . هو ان تبني البيت بحجارة مقطوعة

من مقلع من روحك » [1] .

اجل يؤكد جبران ان العمل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة . وهو يرى انك اذا لم تقدر ان تشتغل بمحبة وكنت متضجرا ملولا فالاجدر بك ان تترك عملك وتجلس على درجات الهيكل تلتمس صدقة . وواضح اشد الوضوح ان جبران في هذه التعاليم قد خلع عن ذاته طينة الانسان المادية وارتدى وشاحا نورانيا اثيريا فلم يعد يعمل ليكسب رزقا او لينال منفعة ، وانما يعمل ليحب الآخرين ويخدم الحياة متوخيا الحياة في عمله . فالعمل الكامل لديه هو مظهر من مظاهر العبادة يقرّبنا الى حقيقة ذواتنا وحقيقة السعادة . وبيّن ان هذه التعاليم المملوءة بالمحبة كانت صرخة ضد واقع الحضارة المادية وردّة عليها وثورة على الاطماع والانانيات التي يتآكل ويقتتل بها رجال الأعمال الذين لا يتورعون عن الأذى والغدر والجريمة في سبيل الحصول على الارباح. واذا اردنا ان نرى كيف تتشعب الأفكار المختلفة من فكرة المحبة وجدنا الصلات بين المحبة وكافة الأفكار الأخرى في كتاب «النبي» . فالصلة واضحة مثلا بين فكرة المحبة وفكرة الجرائم والعقوبات ، فالمحبة بعد ان تضع الانسان في قلب

---

١ ـ تراجع في النبي المجموعة الانكليزية فصول المحبة والعطاء والعمل ص ٨٧ و ٩٢ و ٩٦

الله كيف له ان يدين اثيما باثمه ، افي الله اثم ؟ والآثم الذي يسكن معه في قلب الله اليس اخاه او ذاته نفسها ؟ وهل يستطيع الانسان ان يدين اخاه او ذاته كما يدين مجرما يظنه غريبا عنه ؟ فالناس في الاثم سواء « اتتم لا تقدرون ان تفصلوا بين العادل والظالم وبين الصالح والشرير ، من شاء منكم ان يرفع الفأس على شجرة ليقطعها باسم الصلاح عليه ان يتفقد جذورها اولا . الحق اقول لكم انه يجد الجذور الصالحة والطالحة والمثمرة وغير المثمرة ملتفة معا في قلب الأرض الصامت . وكما ان ورقة واحدة على الشجرة لا تصفر الا بسعرفة الشجرة كلها ــ هكذا لا يرتكب احدكم جريمة الا بارادتكم الخفية المشتركة . » .

وكذلك فالصلة واضحة بين فكرة المحبــة والافكار الواردة في باب الغذاء من النبي . فعلى الانسان ان يدرك انه لا يملك حق السيطرة على بقية الكائنات الحية وقتلها والتغذي بها الا لانه هو الآخر كهذه الكائنــات معرض للموت والقتل والتغذي بعناصره من قبل الكائنات الأخرى . فهو كهذه الكائنات غذاء لشجرة الحياة. وهو وهذه الكائنات ادوات لتنفيذ ارادة الحياة العليا . فقتله للحيوانات ليس نوعا من الافتراس والتسلط بل هو نوع من العبادة والاستسلام لارادة الحياة ونواميسها . ومن كان محبا في قلب الله كيف له ان يقيم حواجز بين شيء وشيء .. حتى بين نفسه وبين ما

وهكذا لو اردنا ان نظهر الصلة بين فكرة المحبة وكل فكرة أخرى في كتاب « النبي » لما اعجزنا ذلك .

---

١ ـ يراجع في النبي المجموعة الانكليزية فصلي الجرائم والعقوبات والغذاء .

جبران الثائر على التسلط والفساد
والمدافع عن المظلومين والضعفاء

لقد وعى جبران مشاكل عصره ونفذ بصره الى صميم العلاقات القائمة بين الناس وشعر بوطأة الظلم والاستبداد تعاني منها الأكثرية المسحوقة تحت جبروت الشرائع الفاسدة والسلطات المستبدة دينية كانت او سياسية . وعرف بشاعة التقاليد ودورها في تشويه الحياة وتوليد البؤس والشقاء فثار وتمرد على التسلط والمتسلطين وصب جام غضبه على الشرائع المتحجرة والتقاليد الشوهاء، الأمر الذي جعل مؤلفاته الاولى تطبع بطابع العنف والدعوة الى العصيان والتمرد . فهي من وحي البيئة الشرقية بصورة عامة والبيئة اللبنانية بصورة خاصة ، يسيطر عليها شعور فادح بالظلم يغرس انيابه واظافره في ضحاياه وتبدو القطعان البشرية المعذبة الضائعة في متاهة الحياة والتاريخ تعيش في جحيم من الويلات والمصائب سيطرت عليه ثعابين الروح وعاثت فيه فسادا كواسر الاقطاعية. واخذ جبران جانب المستضعفين ، جانب الفلاح والمرأة ، الضحيتين الأزليتين في الشرق . الفلاح الذي تحكّم فيه الأمير ورجل الدين ، والمرأة التي سلبتها التقاليد الاجتماعية ارادتها وانسانيتها . فهو يرى في الفلاح ابن الفطرة والحقيقة،

يعاني الظلم واذا ما حاول ان يتحرر من نيره يضطهد ويساق الى التعذيب. فيوحنا المجنون في نظر جبران يشبه المسيح في حكمته وفضائله وثورته على الباطل، وهو الذي يمثل المسيح الحقيقي من دون رجال الدين الذين حولوه الى اله قسوة وانانية وترف وابهة ونعيم وهو لم يجيء الا" ليكرس الرحمة والتضحية والزهد والمحبة .

ويجعل جبران من خليل الكافر نبيا صغيرا يخلع عليه وشاح الفكر والتأمل محببا في اضطهاده كالشهداء كبيرا في ايمانه كالقديسين ، ثائرا قادرا على تحقيق مجتمع المساواة والعدالة ، فهو ينقل تلك القرية التاعسة من الفقر الى الكفاية ومن العبودية الى الحرية ومن الشقاء الى السعادة فيتمثل على يديه حلم جبران بنوع من المساواة الشعبية : حيث لا يعود هناك سيد ومسود، مستثمر ومستثمر، وانما مجموعة من العقول والايدي تعمل بفرح لاجتناء خيرات الأرض ومواسمها دون تمييز بين فرد وآخر . وفي مقال بعنوان (يا خليلي الفقير) من كتاب «دمعة وابتسامة» يبدو جبران ناثرا فؤاده المترع بمحبة الفقراء والمظلومين على الورق كلمات لا نهاية لرقتها وعذوبتها فيها انبل المشاعر وفيها المشاركة الوجدانية المخلصة ، حاملا لشهداء الشرائع القاسية جميعهم العزاء والأمل والايمان . فهو بعد ان يخاطب خلانه الفقراء من جندي محكوم بالذهاب الى ساحة الموت ومن

شاعر غريب جائع في وطنه ، ومن سجين مطروح في الظلمة من اجل ذنب صغير ، ومن مسكينة وهبها الله جمالا فغرّها فتى العصر بالذهب ـ يوجه خطابه اليهم جميعا قائلا بقلب منكسر حزين تتأكله اللوعة وبنغمة روماتنيكية حالمة واهنة : « انتم يا احبائي الضعفاء شهداء شرائع الانسان ، انتم تعساء وتعاستكم تنيجة بغي القوي وجور الحاكم وظلم الغني وانانية عبد الشهوات ... انا اقبلكم يا اخوتي واحتقر مضطهديكم » [1] .

ويندد جبران برجال الدين تنديدا يذكرنا بتنديد المسيح بالفريسيين ببساطته وروعته الأخاذة كما يذكرنا بكتاب غربيين من امثال فولتير اخذوا على عاتقهم ارخاء قبضة رجال الدين التي احكمت شدها الاجيال على اعناق الناس . فكأنه مصلح جاء يعيد الى المسيحية رونقها الأول ويخلصها من التشويه الذي الحقه بها رجال دين طامعون « تستير قبائحهم في ظل الانجيل فتظهر للناس كالفضائل » . فهو يورد على لسان بطله يوحنا المجنون نماذج مختلفة من شآبيب الهجوم الذي لا يعرف الهوادة . اسمع اليه يقول مخاطبا الرهبان الذين حجزوا عجوله لانها رعت شيئا من اعشاب اراضي الدير : « ويل والف ويل لكم ، ايها الخاضعون لأصنام مطامعكم ، الساترون بالأثواب السوداء اسوداد مكروهاتكم

١ ـ المجموعة العربية ص ٢٧٣

المحركون بالصلاة شفاهكم . وقلوبكم جامدة كالصخور . »[1] .

ويجعل جبران من يوحنا خطيبا فذا ومفكرا لا تغيب عنه شاردة او واردة من الوضع البائس الذي كان فيه اللبنانيون آنذاك : فيقارن بين المدن والقرى الفقيرة والأديار الغنية ، وبين التعاسة التي تلتف بالأطمار البالية والعظمة التي ترتدي الحرير والأطالس . ويذكر احوال البائسين والمرضى والمتسولين ونواح الأرامل واليتامى بينما يتمتع الرهبان « براحة التواني والكسل ويتلذذون بثمار الحقول وخمور الكروم »[2] . ويجعلهم شركاء الاقطاعيين في سلب اموال الرعية والثراء على حساب بؤسها وشقائها اذ يخاطبهم « ليتكم تكتفون بما لديكم وتقنعون بما اغتصبتم من جدودنا باحتيالكم ، فأنتم تمدون ايديكم كما تمد الأفاعي رؤوسها وتقبضون بشدة على ما وفرته الأرملة من عمل يديها وما ابقاه الفلاح لأيام شيخوخته »[3] . لذلك يجعل جبران بطله يوحنا ينتهي الى نتيجة هي ضرورة طرد رجال الدين من الهياكل لتتطهر الهياكل من الدجل والاحتيال . فهو يصرخ في عيد الفصح عندما يرى الأحبار في ثيابهم المزركشة

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٧١
٢ ـ م.ن. ص ٧٢
٣ ـ م.ن. ص ٧٢

وتيجانهم المرصعة يتنعمون بتلك الأبهة امام ابناء الرعية الملتفين بالخرق : « انظر يا يسوع فقـد نهشت مخالب الوحوش ضلوع الحمل الضعيف الذي حملته على منكبيك ، انظر فدماؤك الزكية غارت في بطن الأرض ، تعال ثانيـة يا يسوع واطرد باعة الدين من هياكلك فقد جعلوها مغاور تتلوى فيها افاعي روغهم واحتيالهم » [1] •

وجبران لا يكتفي في قصته (خليل الكافر) بمجرد التنديد برجل الدين الذين نسوا واجباتهم بل ينتقل الى مرحلـة اعلى ويتميز بواقعية اكبر، اذ يرى ان التحالف قائم بين رجال الدين ورجال الحكم فيسدد سهامه هذه المرة الى الحليفين• وهو يبلغ الذروة في هجومه على كليهما فيرى لبنان انذاك « الجبل الغني بنور الشمس الفقير الى نور المعرفة » فيه « الأمير يقبض على ذراعي الفلاح المسكين والكاهن يمد يده الى جيبه ، الحاكم ينظر الى ابناء الحقول عابسا والمطران يلتفت نحوهم مبتسما •• وبين عبوس النمر وابتسامة الذئب يفنى القطيع » [2] • ولا يكتفي جبران بذلك بل يرى ان على الأديرة ان توزع املاكها على الفلاحين وتنهي وجودها كصوامع للعزلة والعبادة، فلقد ردد خليل على مسامع الرهبان قوله : « ارجعوا حقول الدير وكرومه وامواله الى سكان

١ ـ المجموعة العربية ص ٧٥ و ٧٦
٢ ـ المجموعة العربية ص ١٣٦

هذه القرى الفقراء وتفرقوا الى كل ناحية وذاك خير من الصلاة والعبادة » [1] فهو يرى في غنى الأديرة خروجا على تعاليم يسوع الذي قال لتلاميذه : « مجانا اخذتم مجانا اعطوا ، لا تقتنوا فضة ولا ذهبا ... » ويعتبر جبران ان هناك اناسا يصنعون الخيرات واناسا غيرهم يحصلون عليها ويتساءل بلسان خليل الى متى يدوم ذلك : « فحتى متى نبني القصور والصروح ولا نسكن غير الأكواخ والكهوف، ونحوك الحرير والصوف ولا نلبس غير المسوح والأطمار! » [2] وفي هذه الأقصوصة يبلغ هجوم جبران على رجل الدين النهاية في قساوته وتطرفه فيصفه بانه خائن ومراء وظالم وذئب ومحتال ونهم وشيطان [3] . ولا يكتفي جبران بهذا بل يطلع علينا بانواع من الهجوم يصبه كالماء المغلي على مسيحية تحولت الى وثنية على ايدي رجال الدين وابتعدت بذلك عن مضمونها الأول البالغ السمو ، ويعتبر الكاهن والشيطان حلفاء على بسطاء الناس وطيبي القلوب [4] . وفي قصة (الأجنحة المتكسرة) ينعى على رجال الدين تمثيلهم النفعية اذ يسعى المطران لتزويج سلمى من ابن اخيه المستهتر طمعا

١ ـ المجموعة العربية ص ١٢٧

٢ ـ م.ن. ص ١٥٦

٣ ـ فلتراجع اقصوصة (خليل الكافر) .

٤ ـ تراجع مقالة مساء العيد ص ٤١٣ من المجموعة العربية ومقالة الشيطان ص ٤٣٩ من المجموعة العربية ايضا .

بمالها لأنها كانت الوريثة الوحيدة لأبيها الثري . وفي (صراخ القبور) يثور جبران على قساوة الرهبان والأمير اذ يقول بسخط والم عميقين وهو يتأمل جثث الضحايا في ذلك الحقل « وقفت متنهدا ولو لامست شعلات تنهيداتي اشجار ذلك الحقل لتحركت وتركت اماكنها وزحفت كتائب كتائب وحاربت بقضبانها الأمير وجنوده وهدمت بجذوعها جدران الدير على رؤوس رهبانه » [1] .

ولا نستطيع مهما كان رأينا في رجال الدين الا ان نرى في هجوم جبران عليهم ايمان جبران بانهم كانوا يسيطرون على ارواح عامة الناس سيطرة مطلقة في تلك الحقبة من الزمن ، وان هذه السيطرة قد آن لها ان تتلاشى خدمة للتحرر الفردي والجماعي الذي رآه في الغرب وتمنى ان ينعم الشرق به ولبنان بصورة خاصة . ولذلك اعتبرنا تصدي جبران لرجال الدين من حيث صلته بنسائم العصر الحديث المقبلة من الغرب آنذاك ومن حيث صلته بقضية التحرر من ظلام القرون ــ يماثل تصدي رجال الثورة الفرنسية لسلطة الكنيسة في القرن الثامن عشر . فكان جبران من هذه الناحية رائدا من رواد الفكر والاصلاح وداعيا من دعاة الانعتاق الفردي من ربقة كل القيود التي تكبله وتعوق

---

١ ـ المجموعة العربية ص ١٠٤

تطوره . ولذلك اعتبرنا موقفه من السلطة الدينية في عهده اونا مشرقا في صورته كمصلح اجتماعي وككاتب ملتـــزم بقضايا التحرر .

ولا ينفصل هجوم جبران على السلطة الدينية عـــن هجومه على السلطة السياسية المتمثلة آنذاك بالاقطاعيين الذين كانوا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر يملكون سعداء ولا سيما في الاقليم الشمالي والشوف وكسروان . وكانوا اشد قساوة على عامة الناس من العثمانيين . فثورة الفلاحين سنة ١٨٥٤ ان وضعت حدا لامتيازات الاشراف والاعيان من حيث الطابع الرسمي فقد ابقت عليها في الجوهر، وتركت نفوذهم كلي القدرة عزيزا رغم انحصار سلطتهـم الشرعية في استيفـاء الضرائـب للادارة المركزيـة [١] . ويتمثـــل هجوم جبران على الاقطـاع السياســي في قصته (خليل الكافر) وفي اقصوصة (صراخ القبور) . ففي خليل الكافر يعطينا صورة عن الاقطاعي المتأله بـين الفلاحين الاذلاء الذين يقضون سحابة عمرهم في خدمتـه رازحين تحت الديون متشهين طعم الرغيف [٢] .

---

١ ــ يراجع كتاب الاقطاعية في مصر وسوريا ولبنان لبولياك ترجمة عاطف كرم .

٢ ــ تراجع صفحة ١١٦ و ١١٧ من المجموعة العربية .

ولقد اوضح جبران في (خليل الكافر) ما يريد ان يفعل بممتلكات الاقطاعيين عندما جعل الشيخ عباس يموت غضبا وجعل « الأرض ملكا لمن يفلحها » [1] تؤول بكاملها الى الفلاحين . وفي اقصوصة (صراخ القبور) يظهر ظلم الحكام والأمراء الذين يستولون على ارواح ابناء الرعية ويتصرفون بها كما يحلو لهم . فالأمير الاقطاعي يقضي بالاعدام على ثلاثة متهمين دون استنطاق او محاكمة فيساقون الى حتفهم ويشنقون وهم ابرياء لم يأتوا اثما بنظر العدالة الحقيقة: فالاول قتل قائد الأمير دفاعا عن خطيبته التي حاول ان يعتدي عليها . والثانية اتهمت بالزنى لأنها اجتمعت بفتى كانت تحبه منذ الصغر وتزوجت من غيره قسرا . اما الثالث فقد اتهم بسرقة آنية الدير فيما كان يحاول ان يحصل على بعض الدقيق لاطعام اطفاله الجياع . وينتهي الى مهاجمة الشرائع التي تسحق حرية الانسان وتحرمه من حقه في السعادة فيعريها من قدسيتها التي نسجتها الأوهام اذ يتساءل: « الشريعة ؟ ومن رآها نازلة مع نور الشمس من اعماق السماء ؟ واي بشر رأى قلب الله فعلم مشيئته في البشر ؟ وفي اي جيل من الاجيال سار الملائكة بين الناس قائلين : احرموا الضعفاء نور الحياة وافنوا الساقطين بحد السيف ودوسوا الخطاة باقدام من حديد » [2] .

١ ـ المجموعة العربية ص ١٥٩
٢ ـ المجموعة العربية ص ١٠٠

ويدافع جبران عن المرأة دفاعا وجدانيا حارا . وكانت قضية المرأة آنذاك قضية بالغة الحساسية والأهمية مما اعطى جبران دورا بارزا في حركة تحرير المرأة الى جانب الأدباء الذين ناصروا تحرير المرأة من امثال بطرس البستاني وقاسم امين وحافظ ابراهيم والرصافي والزهاوي . ويتجلى دفاعه عن المرأة في ثورته على مستعبديها ومهيني كرامتها وسالبيها انسانيتها . وحديثه عنها يرتبط غالبا بكثير من القضايا التي تؤثر في مصيرها : فهو يذكر الفقر الذي يحل بها ويوصلها الى حياة الرذيلة ، كما يذكر الغنى الذي يغرر بذويها فيغصبونها على الزواج ممن لا تربطها به عاطفة الحب التي تضيء خلايا النفس وتطهرها . وهو يشير الى معنى العفة والزنى ويلمحهما حيث لا يراهما الناس ، كما يقيِّم سائر القيَم تقييما جديدا وفق مقاييس تختلف عن مقاييسهم . ويلم هنا وهناك بطبيعة العلاقة التي توثق المرأة بزوجها ووالدها ، معينا لها حدودا جديدة ، وموضحا مفهوم الحب والزواج كاشفا فيهما ابعادا يقصر عن ادراكها اولئك الذين يصدرون عن جهل وتقليد وقصور في فهم اسرار السعادة والحياة .

ففي اقصوصة (مرتا البانية) يندد بالظلم الاجتماعي الذي يلحقه بالمرأة الفقيرة (ابن القصور ذو المال الكثير

والنفس الصغيرة) [1]. فيسلبها شرف الحياة ويبقيها فريسة للرذيلة • ويرى في مرتا شهيدة هذا الظلم التي تثير الشفقة والعطف فيضع على لسانها هذه الشكوى المأساوية : « انا مظلومة انا شهيدة الحيوان المختبىء في الانسان انا زهرة مسحوقة تحت الأقدام ••• ايها العدل الخفي انت السامع عويل نفسي ونداء قلبي » [2] •

ولا يرى جبران في المرأة التي تقهرها الظروف فتجبرها على بيع جسدها طلبا للقمة اي دنس او خطيئة ، فهو كالكتاب الغربيين، وبشكل خاص كدوستويفسكي ـ يعتبر ان الخطيئة هي في النفس وليست في الجسد• فقد تقهر المرأة على ارتكاب الرذيلة فتواقعها دون ارادتها ويتدنس بها جسدها دون روحها • فقد تحيا زنبقة الطهارة في مستنقع الرذيلة • ولئن سقطت مرتا في مستنقع الرذيلة ولئن سقطت مرتا بعوامل الفقر والجهل فان سقوطها لم يدنس طهارتها ، ولذلك فهو يخاطبها معزيا : « لست كالابرص يا مرتا ، وان سكنت بين القبور• ان ادران الجسد لا تلامس النفس النقية ، والثلوج المتراكمة لا تميت البذور الحية • انت مظلومة يا مرتا وظالمك هو ابن القصور ذو المال الكثير والنفس الصغيرة • انت مظلومة ومحتقرة وخير للانسان ان يكون مظلوما من

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٦٣
٢ ـ م.ن ص ٦٤ و ٦٥

ان يكون ظالما • اي مرتا ، انت زهرة مسحوقة تحت اقدام الحيوان المختبىء في الهياكل البشرية [1] » •

وفي اقصوصة (ورده الهاني) يعالج جبران مشكلة المرأة التي تزوج وهي قاصرة الى رجل يظل غريبا عنها بالرغم من رابطة الزواج التي تضمهما ويظل عاجزا ان يلمس قلبها ويحرك عواطفها ، فتهجره وتساكن فتى فقيرا لانه استولى على روحها واثار فيها جذوة الحب ورؤاه الملونة • فيؤكد في هذه الأقصوصة ان سعادة المرأة ليست بمجد الرجل وسؤدده بل بالحب الذي يضم روحها الى روحه ويسكب عواطفها في قلبه ويجعلها ويجعله عضوا واحدا في جسم الحياة وكلمة واحدة في شفتي الله . ولما كانت سعادة المرأة مبنية على الحب وحده فعليها ان لا تظل تعيش تلك المأساة الاليمة المكتوبة بالدماء عندما تكون بين رجل تحبه بارادة السماء ورجل تلتصق به بشريعة الأرض — عليها ان تخرج من جحيم هذه الحرب الهائلة بين شرائع الناس وعواطف القلب المقدسة وان تلتحق بحبيبها • وليس التحاقها بحبيبها خيانة او زنى وانما بقاؤها في كنف رجل لا تحبه هو الخيانة والزنى بكل ما في الكلمتين من معنى . ولذلك يضع جبران تقييمه الجديد للعلاقة بين المرأة والرجل عندما ينطق ورده الهاني بمثل هذا الكلام : « انا كنت زانية وخائنة في منزل رشيد

---

١ ــ المجموعة العربية صفحة ٦٣ و ٦٤

نعمان لأنه جعلني رفيقة مضجعه بحكم العادات والتقاليد قبل ان تصيرني السماء قرينة له بشريعة الروح والعواطف • اما الآن فصرت طاهرة نقية لان ناموس الحب قد حررني وصرت شريفة وامينة لأنني ابطلت بيع جسدي بالخبز وايامي بالملابس » [1] • وهنا يتقدم جبران في ورده الهاني خطوة في السبيل التي يراها مؤدية الى معالجة قضية المرأة ، فلا يكتفي بان يعتبر ورده الهاني مظلومة كمرتا البانية من الرجل والمجتمع — بل يجعلها اكثر ايجابية واقوى ارادة، فيجعلها ترفض الانصياع للواقع والتقليد وتثور عليهما وتتحدى العرف الاجتماعي في سبيل حبها وسعادتها •

وفي اقصوصة (مضجع العروس) يجعل العروس تتمرد على شريعة الزواج وتحاول العودة الى حبيبها • ولما خشي الحبيب ان يجاري حبيبته في اقدامها وجرأتها على الشرائع والتقاليد جعل جبران من العروس ثائرة حتى الجنون الذي دفعها الى قتل حبيبها وقتل نفسها • وفي قصة (الأجنحة المتكسرة) تأكيد لهذا المبدأ الذي يتكرر في كافة اقاصيص جبران وهو حق المرأة في الالتحاق بحبيبها ضاربة عرض الحائط بزوجها الذي اكرهت على الزواج منه • فحب سلمى العفيف الصادق هو فوق ما سنه الانسان من شرائع قاصرة،

١ـ المجموعة العربية ص ٨٨

وما وضعه من حدود زائفة لا تستطيع ان تقف بوجه الروح التي هي قبس من الله تسمو علـى ادران الناس والعرف والتقاليد • وهكذا اخذ جبران يلتقي بها سرا في هيكل مهجور يتشاكى الحبيبان ظلم الحياة ويغدوان كظلين هائمين لا تدنسهما خطيئة بالرغم من انهما خرجا علـى الطقوس والنواميس • نعم ان اصلاح جبران لوضع المرأة المتخلف هو اصلاح شعري وجداني تتغلب فيه طفرة العاطفة على الحكمة العقلية، فلا مراعاة للظروف الموضوعية ولا لمقتضيات التطور، وقد يشيع منطق النزوة والهوس والشهوة اذا ما اتبعـت النساء منطق جبران وقد يتهدد كيان الخلية العائلية ــ ولكن مع ذلك كله فهو رد الفعل المقابل تماما لتحكم الوالد والزوج والتقاليد والشريعة بالمرأة الشرقية كل هذا التحكم الذي يصل الى درجة التعسف التي نرى نتائجها السيئة حولنا في كل مكان من مجتمعاتنا الشرقية • ومن يتطرف في الدفاع عن حق من الحقوق لا يعني انه لم يفد في اظهار الحق شيئا • ولذلك فدفاع جبران عن المرأة الكسيرة الجناح في شرقنا هو لون مشرق في صورته كأديب اجتماعي ملتـزم يستقـي مواضيعه من صميم الحياة والمجتمع •

ويدافع جبران عن الفقراء بصورة عامة ويعقد مقارنات كثيرة بين فقير كادح يملأ حياته عملا مثمرا وتصنع يـداه الخيرات وبين غني يقضي عمره في اللهو ونهب الملذات ، عالة

على تعب الفقير وما ينتجه بكدحه المتواصل . فهناك في القصور يعيش الكسالى المستثمرون اتعاب العاملين الكادحين، وهناك في الكوخ يعيش صانعو الخيرات ومنتجو الغلال . ومن يقرأ مقالة جبران (بين الكوخ والقصر) يجد وصفا لحفلات صاخبة تستمر في القصر حتى الصباح اذ يبدأ نوم اولئك المترفين اللاهين بينما في الكوخ ينهض مع تباشير الفجر ذلك الفقير « ويذهب الى الحقل ليسقيه من عرق جبينه ويستثمر ويطعم قواه اولئك الاغنياء الاقوياء الذين صرفوا ليلة امس بالقصف والخلاعة » [1] . ويعتبر جبران مثل هذا الفلاح اشرف من الملوك، وان الملوك انفسهم يعيشون مما تصنع يداه اذ يقول على لسان احد الملوك : ان هؤلاء الذين يحرثون حقولنا ويبذلون العناية بكرومنا اشرف منا نحن الذين نأكل الخبز الذي يصنعون ونشرب الخمرة التي يعصرون [2] .

ويذكرنا ذلك بما اورده تولستوي المرهف الاحساس بمسيحية المحبة اذ يقول : « نعل فلاح يساوي في نظري كل الغنى والشرف . انا اعرف الاشراف، عاشرتهم زمنا .. كنت واحدا منهم .. ولا انسى ما حييت كيف اني وجدت يوما بعد ما قضيت الليل ساهرا في احد القصور سهرة أكل وخمر ولهو ورقص ... وجدت عند الفجر الحوذي المسكين

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٢٧٥

٢ ـ المجموعة الانكليزية ص ٤٠٩

مجلدا من شدة البرد ميتا على كرسيه » [1] .

ويعقد جبران مقارنة بين ولادة طفلين: احدهما في بيت الامير تهتف لولادته الجموع وتدور الكؤوس ، والآخر في بيت صبية فقيرة جائعة امات رفيقها الضعيف ظلم الامير القوي ، ليس في ثدييها نقطة من الحليب ولم تجد غير الدموع تستقبل بها هذا الطفل البائس وغير احضان الموت ملجأ له ولها [2] .

ويقابل جبران بين موكب جنازة الغني الذي يجمع بين الفخامة والعظمة وبين موكب جنازة الفقير الهزيل اذ لا يحمل التابوت غير رجلين وراءهما امرأة مرضع ترتدي اطمارا وبجانبهما كلب يسير مطرقا برأسه .. كل هذا لينتهي الى نتيجة هي ان الفقير لم يعد له مكان على الأرض [3] . ويصل به الامر الى ان يعقد مقارنة بين لقاء يجري بين حبيبين غنيين ولقاء يجري بين حبيبين فقيرين ، ويورد مثل هذه الجملة التي تحمل لون فكرته التي يستهدفها من المقارنة «وبعد قليل رأيتهما (يقصد الحبيبين الغنيين) يمشيان على مهل ويدوسان الازهار باقدامهما كما تدوس قدم الغني قلب الفقير» . [4] .

١ ـ تولستوي . الطفولة والشباب والكهولة .
٢ ـ المجموعة العربية ص ٢٧٦
٣ ـ المجموعة العربية ص ٢٤١
٤ ـ المجموعة العربية ص ٢٤٨

ويلخص الوضع العام الذي يراه جبران حوله قائلا: «رأيت الفقراء المساكين يزرعون والاغنياء الاقوياء يحصدون ويأكلون ، والظلم واقف هناك والناس يدعونه الشريعة » [1] .

ويعكس هذا الوضع في مقال (نظرة الى الآتي) اذ يرى ان هذا الوضع سيصبح في المستقبل الآتي وضعا آخر تختفي فيه الفروق بين الطبقات . وذلك واضح في قوله «نظرت فلم ار فقرا ولا ما يزيد عن الكفاف بل الفيت الاخاء والمساواة » [2] .

هكذا يبشر جبران وهكذا يتوجه الى الفقراء واعدا اياهم بمستقبل ينتفي فيه الفقر كما ينتفي الغنى فيتخلص الانسان من مساوىء الاثنين . وهو يعتبر ان العدالة تقتضي ذلك وان الفقراء هم الذين ابدعوا الثروات ولذلك سوف تعود اليهم عودة الاشياء الى مصادرها . ويرد ايمان جبران هذا في مقاله (خليلي) اذ يقول «ان القوة التي زرعتها ايها الفقير واستغلها الغني القوي سوف تعود اليك لان الاشياء ترجع الى مصادرها بحكم الطبيعة ، والاسى الذي عانيته ايها الحزين ينقلب فرحا بحكم السماء » [3] .

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٢٥٦
٢ ـ م.ن. ص ٢٨٠
٣ ـ المجموعة العربية ص ٣٠٢

وهكذا فجبران كان صوتا صارخا في سبيل الحزانى والضعفاء جميعهم : الفلاح والمرأة والأرملة واليتيم ، وعاطفة مشبوبة تصل الى مداها عندما يتناول موضوعا يتعلـــق بالمعذبين في الأرض ، كما كان ثورة لا ترحم على مضطهديهم اغنياء كانوا اوحكاما او رجال دين لايقتصد في ثورته ولا يهادن بل هو متطرف « لان من يعتدل باظهار الحق يبين نصف الحق ويبقي نصفه الآخر محجوبا » [1] .

انه يغمس قلمه في قلبه الجريـــح اسى ولوعة على البؤساء ونقمة وغضبا على زارعـــي البؤس ومستغليه ، ويطلق الكلمات النارية التي جعلته يعيش في قلوب الكثيرين من القراء وجعلت ادبـــه خالدا لاتتجاوزه العصور .

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٣٩٩ .

جبران المتسامي فوق المادة والطمع المادي

من المحبة ينبثق العطاء كما تنبثق المياه من الينبوع، ومنها يتضوع كما يتضوع الاريج من الأزهار. ومن المحبة يتولد التسامي فوق تفاهات المادة ,والاستعداد للتضحية بهـا في سبيل رفع الاثقال عن كواهل الناس وتفريج كربة المحزونين وابـدال احزانهم افراحا . ومن يصل الـى قلب مفهوم المحبة كما وصل جبران الذي كتب بدم القلب المترع بالمحبة، لابد ان يتبرأ من الطمع ويتنزه عن الانانية وينظر الى المال نظرة اخرى فتارة يراه مصدر شرور الانسان [1] . فالمال يقود الى المال، والمال الى الانهماك، والانهماك الى الشقاء[2]. وتارة يرى ان المـال كالحب يميت من يضن بـه ويحيي واهبه [3] . ولا شك ان الضنك وضيق ذات الحال اللذين اطبقا على جبران في فترة طويلة من حياته جعلاه يتساءل عن سبب الصرامة التي تحرس بهـا الثروات والملكيات الخاصة ، وجعلاه يشعر ان لامبرر لكل هذه الصرامة وان لا وجود في نظره لكل هذه الحدود بين الملكيات الخاصة التي تحددها القوانين وتحافظ عليها بكل مالديهـا من

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٢٤٩
٢ ـ م.ن. ص ٢٥٧
٣ ـ م.ن. ص ٢٥٩

جبروت ، بحيث يحرم فنانٍ موهوب مثله من قليل من المال الأمر الذي كان يجعله يردد مغتاظا اثناء اقامته في باريس «لعن الله المال كيف يقف حجر عثرة بين المرء وامانيه » [1] فهو يرى انطلاقا من ناموس المحبة الذي هو فوق كل النواميس والشرائع ــ ان لكل انسان حقا في ملكية الآخر ليدفع عن نفسه العوز ومرارة الحاجة ، فجميع الناس اخوة ولا يجوز ان يتخم اخ بينما يجوع الأخ الآخر ، ولذلك يهتف جبران : «انت اخي وكلانا ابن روح قدوس ... خذ مني ماشئت فلست بسالب غير مال لك الحق بقسم منه وعقار استأثرت به لمطامعي .. فأنت خليق ببعضه ان كان يرضيك بعضه » [2] .

ويتمنى جبران ان لا يقتني الانسان ما يزيد عن حاجته، فما يزيد عن حاجته يخص الشخص الآخر فهو القائل «انك لا تستطيع ان تأكل ما يزيد عن حاجتك فان الرغيف الذي لا تأكله يخص الشخص الآخر » [3] . ولذلك رأى جبران في الثروات حقوق الفقراء واتعابهم المأخوذة منهم بالقوة، ورأى ان ذلك مناف لروح العدل وحكمة الحياة فأخذ يعلن عن مجيء يوم تعود فيه هذه الحقوق لاصحابها اذ يقول «ان

---

١ ــ ذكرياتي مع جبران ص ٤٣
٢ ــ المجموعة العربية ص ٣٣٦
٣ ــ المجموعة الانكليزية ص ١٧٠

القوة التي زرعتها ايها الفقير واستغلها الغني القوي سوف تعود اليك لان الاشياء ترجع الى مصادرها بحكم الطبيعة»[1]

وهو يكرر هذا المعنى عندما يجعل الغني يخاطب الفقير بصورة رومانتيكية طوباوية : «خذ يا اخي الآن وعد غدا مع اترابك واسترجعوا اموالكم »[2] .

ومن كانت هذه نظرته لابد ان يرى للعطاء تلك الابعاد الصوفية اللامتناهية ، فلا يكفي في رأي جبران ان يعطي الانسان اخاه الانسان من ثروته بل عليه ان يعطيه من ذاته ايضا . وعليه ان يجنبه مرارة السؤال ، فكل ذي حاجة يستحق العطاء طالما انه استحق نعمة الحياة ، لأن الحياة هي التي تعطي. وليس الانسان المعطي غير شاهد في عملية العطاء. لذلك نرى المصطفى يخاطب الغني في كتاب النبي « انك اذا اعطيت فانما تعطي القليل من ثروتك ولكن لا قيمة لما تعطيه ما لم يكن جزءا من ذاتك .. جميل ان تعطي من يسألك ما هو في حاجة اليه ولكن اجمل من ذلك ان تعطي من لا يسألك وانت تعرف حاجته ... الحق اقول لك ان الرجل الذي استحق ان يقتبل عطية الحياة ويتمتع بأيامه ولياليه هو مستحق لكل شيء منك . والذي استحق ان يشرب من اوقيانوس الحياة يستحق ان يملأ كأسه من جدولك الصغير

---

١ ــ المجموعة العربية ص ٣٢

٢ ــ المجموعة العربية ص ٢٥٩

.. فانظر اولا هل انت جدير ان تكون معطاء وآلة للعطاء ... لأن الحياة هي التي تعطي الحياة في حين انك وانت الفخور بأن قد صدر العطاء منك لست بالحقيقة سوى شاهد بسيط على ذلك » [1] .

وعلى المعطي ان لا يكون ادنى في عطائه من الأشجار التي تزهو في الربيع وتثمر في الصيف ولا مطمع لها بالثناء ، فاذا ما اعطى عليه ان لا يعطي كي يشعر بفرح او عاطفة ما بل ان يعطي تلقائيا كما يعطي الريحان عبيره والأزهار اريجها . والعطاء السخي لا يكون من فضلة او سعة بل هو الايثار الذي يتجلى عندما تقدم الى غيرك ما انت بحاجة اليه اكثر منه . الى هذا الحد يصل جبران في قوله « ليس السخاء ان تعطيني ما انا في حاجة اليه اكثر منك بل السخاء ان تعطيني ما تحتاج اليه اكثر مني » [2] .

وعطاء الانسان الذي استكمل انسانيته يشعر صاحبه بشيء من الخجل، لأن الحياة وضعته في مكان يشاهد منه صدور المحتاجين وقد انفتحت فانحسر القناع عن شهامتهم وعزة نفوسهم . فالذي يخجل هو المعطي اذا كان انسانا نبيلا فكأنه الآخذ الذي وضعته الحياة في موضع المحتاج. ولذلك يخاطب جبران كل من يعطي قائلا له « لا تنسَ وانت تعطي

---

١ ـ المجموعة الانكليزية النبي ص ٩٢ و ٩٣ و ٩٤

٢ ـ المجموعة الانكليزية رمل وزبد ص ١٧٠ .

ان تدير وجهك عمن تعطيه لكي لا ترى حياءه عاريا امام عينيك » [1] . ويسخر جبران من ذلك المحدود الملتصق بالمادة الذي يتكالب على ما في حوزته فيمسكه عن المحتاجين له ، كما يسخر من ذلك الذي يظن انه اذا ما اعطي شيئا قد غنم في غفلة من المعطي ذلك الشيء فحق له ان يضحك من غفلته ، غير عالم ان الحياة هي التي تعطي وهي التي تأخذ ، وان الحطام اذا ما انتقل من يد الى يد وجب ان لا يستدعي اهتماما او انتباها او شعورا بالربح او الخسارة . فأورد جبران ذلك بصورة رمزية على الصورة التالية « جلس رجل مرة الى مائدتي فأكل خبزي وشرب خمرتي وذهب ضاحكا مني . ثم جاءني بعدئذ يطلب خبزا وخمرا فرددته خائبا فضحكت الملائكة مني » [2] .

وليس اجمل من تصوير جبران لحالة الحريص الذي يخبىء ما لديه ويؤجل انفاقه واستعماله مرة بعد مرة الى ان يدركه الموت فيستعمله الآخرون . وتتجسد في ذلك سخرية الحياة من الحرص والبخل اللذين يعبران عن الغباوة والجهل المطلق لحكمة الحياة وفطرتها وبساطتها . ولنورد مثل (الخمرة العتيقة) في كتاب «التائه» لنرى ذلك : « كان غني مرة كثير الافتخار بقبوه والخمرة المعتقة فيه ، وكان ثمة

---

١ ـ المجموعة الانكليزية ص ١٧١ .

٢ ـ المجموعة الانكليزية رمل وزبد ص ١٧٨

ابريق احتفظ به لمناسبة لا يعرفها غيره . وزاره حاكم الدولة فأبدى له امتنانه على زيارته وقال له : « لن يفرغ هـذا الابريق من اجل حاكم تفضل بزيارة» . وزاره مطران الأبرشية فقال لنفسه « لا لن افرغ هذا الابريق فهو لن يعرف قيمته ولن يبلغ اريجه انفه » . وجاء امير المملكة وتناول عشاءه معه فقال الغني في سره « انها خمرة ملكية فلا يصح اهراقها من اجل امير» . وقال لنفسه ايضا حتى عندما تزوج ابن اخيه « لا ليس لمثل هؤلاء الضيوف يفرغ ذلك الابريق » . ومرت الأعوام تتلوها الأعوام ومات عجوزا متهافتا ودفن في التراب كأي بذرة او بلوطة . وفي اليوم الذي دفن فيه جيء بالابريق الذي لم يسخ به لأحد مع غيره من اباريق الخمر ، وتقاسمه فلاحو الجوار وما من احد عرف عمره الكبير . كان في نظر الذين شربوه خمرا كغيره من الخمور » [1] . فجبران يسخر من اصحاب اليد الشحيحة ويطلب اعتزالهم فيخاطب اهل اورفليس قائلا : (لا تسمحوا لاصحاب اليد الشحيحة ان يشتركوا في معاملاتكم فيبيعونكم اقوالا باعمال) [2] .

وهكذا فجبران يتكلم عن المادة وكأنه طيف او روح تطل من عليائها، يرى في الثروة المادية حقوق المحتاجين . ولذلك

---

١ ــ المجموعة الانكليزية ص ٤٢٩ .
٢ ــ م.ن. ص ١٠٥

يأكله ويشربه . [1] .

فهي للعطاء وصنع الفرح على الأرض . واذا ما قارنهـا بالثروة المعنوية بدت له المعنوية الغاية والمحجة ، وبـدت المادية الوسيلة للوصول الى تلك الغاية والمحجة ، فهـو القائل « من يبيعني فكرا جميلا بقنطار من الذهب ، من يأخذ قبضة من الجواهر بدقيقة مجد ، من يعطيني عينا ترى الجمال ويأخذ خزائني » [1] .

ويرى جبران ان صاحب اليد المبسوطة يحس في سعيه الى المحتاج نشوة اقوى من نشوته بالعطاء نفسه، فهو يعتقد ان لذة الزهرة تكون بتقديم عسلها الى النحلة والزهرة تؤمن بأن النحلة رسول المحبة المحيية ، [2] . ولعل هذا الشعور بنشوة العطاء هو الكامن وراء مقال جبران المشهور (نفسي مثقلة بأثمارها) وان كان المقال يتحدث عن العطاء المعنوي، عن الأحاسيس التي تملأ القلب الى درجة تضغط عليه ضغطا لكي يبوح بها لبني الانسان ، لكي يقدمها لهم ادبا وفنـا يمور بحرارة الحياة وصدق الشعور وتوتر العصب الذي لا يطيق صبرا على الصمت . فلنسمع اليه يقول واصفا هذه المجاعة الروحية التي تتأكله ليس الى الأخذ بل الى العطاء « نفسي مثقلة بأثمارها فهل من جائع يجني ويأكل ويشبع .. نفسي طافحة من خمرة الدهور فهل مـن ظامىء يسكـب

١ ـ المجموعة العربية ص ٢٥٨
٢ ـ المجموعة الانكليزية ص ١٣٠

ويشرب ويرتوي . الا فارحموني وخذوا مني، اشفقوا عليّ وخذوا مني ... الا ليتني شجرة لا تزهر ولا تثمر فألم الخصب أمر من الم العقم، واوجاع ميسور لا يؤخذ منه اشد هولا من قنوط فقير لا يرزق » [1] .

انه جبران في شفافيته ونقاء روحه الأخاذ في تساميه عن المادة كما هو في محبته وحبه وكما هو في دفاعه عن المظلومين وثورته على الظالمين .

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

جبران المدرسة الأدبية

« اطل الأدب المهجري وعلى رآسه جبران كالجدول الرقراق العذب متحررا من كل ما لا يصلح للحياة الجديدة ومطلقا الأقلام على سجيتها ، فتجلى الابداع في الخلق والتجديد والابتكار ، وكانت مؤلفات جبران بصورة جديدة باهرة — فلم يعرف لها الشرق مثيلا فيما سبق ، فكانت كأشعة الشمس تطل على الشرق من وراء الأفق العريض زاهية ساحرة تحمل في طياته فكرا جديدا في آنية يخطف بريقها الأبصار ويطرب رنينها الآذان » [1] . فالاسلوب الجبراني كان جديدا كل الجدة والتحرر من صنيعة الأدب كان لديه تاما . ولذلك بهر جبران العالم العربي بخيالاته الجميلة واستعاراته المبتكرة المدهشة وبيانه المترقرق كالجدول الصافي والفاظه البالغة الرقة والعذوبة والشديدة الأسر . ولم يكتف جبران بأن ينشىء اسلوبا خاصا به وحده بل كان عبقريا في جعل اسلوبه يتنوع حتى كأنه مجموعة من الأساليب فتارة يخاطب الأرواح والقلوب بلغته الوجدانية، العظيمة البث والايحاء ، الغنية الصور والالوان الشعرية كما في (دمعة وابتسامة والأجنحة المتكسرة) . وتارة يخاطب

---

١ — ادب المهجر — عيسى الناعوري — القاهرة ١٩٥٩ .

لعنول بالامثال كما في (المجنون والسابق)• وتارة يلجأ الى اسلوب الحوار التمثيلي كما في (المواكب)• وتارة يتحدث بالرموز كما في (آلهة الأرض) . وتارة يمزج بين اسلوبين او اكثر كما في كتاب (النبي) الذي يمزج فيه بين الوجدانية الرومانتيكية والرمزية التي يلتبس معناها احيانا ولكنها برغم ذلك تترك في روح القارىء شعورا قريرا بجمال اسلوبها وروعة صورها • وكان جبران في اسلوبه واساليبه المتنوعة هو جبران الفنان الأصيل القوي الشخصية في فنه والمتميز في طابعه الأدبي عن كل اديب آخر • ذلك لان روحه المتمردة من جهة على كل التقاليد والشرائع الأرضية من دينية واجتماعية ، والرحيبة النبيلة من جهة اخرى بحيث ترتبط برباط المحبةالشاملة للانسانية كلها ــ هيالتي كانت تمليعليه وتوجه قلمه مهما كان الأسلوب الذي يكتب به • ولقد عم الأسلوب الجبراني وانتشر في الشرق وكان قدوة للاقلام الناشئة كي تجد طريقها واسلوبها الخاص بها ، ودعي اسلوب الانشاء العصري الخيالي العاطفي بالاسلوب الجبراني • ولا نبالغ اذا قلنا ان جبران قد اوجد مدرسة ادبية لها خصائصها هي في صميم الأدب العربي المعاصر الأدب الشخصي والأدب الانساني والادب التأملي ••• ونستطيع ان نذكر للمدرسة الجبرانية الخصائص التالية :

١ ــ التحرر اللغوي •

٢ ــ الأدب رسالة اجتماعية •

٣ ــ توثيق الصلة بين الأدب وسائر الفنون الجميلة•

٤ ــ الاتجاه بالنثر نحو الشعر •

٥ ــ التغني بروحانية الشرق •

٦ ــ تلقيح الأدب العربي بلقاحات ثقافية غربية •

٧ ــ الاتجاه بالأدب نحو الانسانية •

١ ــ **التحرر اللغوي** : كان الأدب العربي في مطلع عصر النهضة مربوطا (بأمراس كتان الى صم جندل) أي كان تقليدا مريضا لآثار الأقدمين لا يتميز كثيرا عن ادب عصور الانحطاط• وكان الادباء يتبارون في تقليد القدماء : فمن معارض للمقامات ومن راغب في ان يكون صاحب قاموس جديد ومن شارح لقاموس قديم او جامع لألفاظ مترادفة او واضع لأرجوزة في قواعد اللغة ومن مقلد لشعر المتنبي ــ بحيث لا يمكن لمن يطالع شعرهم ان يقع فيه على شخصية متميزة بخصائص ذاتية بل يستطيع بكل سهولة ان ينسب شعرهم الى بعض شعراء عصر الانحطاط والأعصر التي سبقته • « والى جانب هذا الأدب المحافظ والأعمال اللغوية البحتة اطل تيار ادبي جديد مع مارون النقاش وفرنسيس المراش وترصن على دقة علمية مع المعلم بطرس البستاني

وعلى اناقة في البيان مع اديب اسحق واستعمق مع فرح انطون ثم بلغ حد الاعتدال واستقر على تحرر وطواعية مع ابراهيم اليازجي وسليمان البستاني ، وابراهيم اليازجي يعتبر بترجمته للتوراة قد وضع الأساس للمذهب الجديد في النثر الفني . وكان الأدب بانتظار عبقري يستثمر هذه الغزارة المنوعة والطواعية اللدنة والبساطة الانشادية والغنائية والملاحم والأساطير التي تجلت في التوراة المترجمة فكان جبران هذا العبقري المنتظر واول الواثبين الى الأولمب الجديد . ووراءه او معه قفزت مجموعة من الاقلام المجددة الخيرة حررت ادبنا بصورة كلية من سيطرة التقليد . وكان في ردة المحافظين عليه من امثال الأب شيخو والمنفلوطي دليل أنصع على ان شيئاغير مألوف يولد ، شيئا لا عهد للادب العربي به ولا للذهنية العربية القديسة »[1] .

ويعبّر جبران عن تحرره وثورته في مقال له عنوانه : لكم لغتكم ولي لغتي ، قال : « لكم منها القواميس والمعجمات والمطولات ، ولي منها ما غربلته الأذن وما حفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله السنة الناس في افراحهم واتراحهم . لكم لغتكم ولي لغتي : لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ولي من لغتي نظرة في عين المغلوب

١ ـ يرجع الى محاضرة الدكتور انطوان كرم : جبران تأثراته وتأثيراته (الندوة ١٩٥٦) .

ودمعة في جفن المشتاق وابتسامة على ثغر المؤمن . لكم لغتكم ولي لغتي : لكم ان تلتقطوا ما يتناثر خرقا من اثواب لغتكم ، ولي ان امزق بيدي كل عتيق بال واطرح على جانبي الطريق كل ما يعوق سيري نحو قمة الجبل ، لكم لغتكم عجوزا مقعدة ولي لغتي غارقة في بحر احلام شبابها . لكم لغتكم ولي لغتي » [1] .

اجل لقد تحرر جبران من لغة القواميس والمعجمات والمطولات واخذ يكتب بجهاز كلامي مبسط لا يربي على اربعماية من مفردات اللغة فيبدع ويتحرر من طاغوت العبودية الفنية ويسبر الذات من أدق هواجسها الى آخر نأمة حية في الكون . يغرف ويغدق ويمتّع على غير ما جهد ، ويجمّل على غير ما اصطناع ، ويجدد بحس شرقي مبتكر . ولقد طاب لغير الضليعين بأصول الضاد من ذوي الثقافة الغربية الخالصة هذا التحرر من ربقة القديم اللغوي كما طاب لذوي الثقافة الوسطى واهل الريف مرأى هذه الفصحى تهتدي مع جبران الى مسارح الحياة المتجددة ، تدنو من افهامهم وتقف على حد معتدل بين تزمتها الناشز وبين لغة الحياة المحكية . فتملى هؤلاء من ادبه وتملى ارباب الزجل فتسلل الى حبة القلب من انتاجهم [2] .

---

١ – جبران حيا وميتا ص ١٣٢

٢ – يرجع الى محاضرة الدكتور كرم بعنوان : جبران تأثراته وتأثيراته (الندوة ١٩٥٦) .

٢ ـ الأدب رسالة اجتماعية : لقد ربط جبران ادبه بحياته ومجتمعه فكان يتصدى للقضايا الاجتماعية التي يعاني منها عصره ومجتمعه محاولا معالجة تلك القضايا بأخذ جانب الطرف المظلوم فيها وصب جام النقمة والغضب على الطرف الظالم. فهو ليس من انصار مذهب الفن للفن كما يظن البعض بل هو الأديب الملتزم بمبادىء الاصلاح والتحرر ، جعل من الأدب سلاحا هدفه تبديد الظلمة عن وجه الحق . فالأدب الجبراني والحالة هذه ينور ويحرر ويرسل اشعته الى ابعد الزوايا المظلمة في المجتمع والى ابعد القلوب التي يلفها ضباب الاهمال والبؤس . فجعل جبران من قضية المرأة المغبونة في الشرق ومن قضية الفلاح البائس ومن قضية الضعفاء بصورة عامة مواضيع لأدبه يعالجها بعد ان يغمس ريشته في دماء قلبه فيخرج من بين يديه أدب مهموس ارق من النسمات احيانا وراعد كالصواعق احيانا أخرى . ولقد رأينا الأمثلة المختلفة لهذا الأدب الجبراني والمؤلفات الجبرانية التي حوت مثل هذه الأمثلة عندما تحدثنا عن جبران الثائر على التسلط والفساد والمدافع عن المظلومين والضعفاء فلا داعي للتكرار .

٣ ـ توثيق الصلة بين الأدب وسائر الفنون الجميلة : مع الأدب الجبراني بدا لأول مرة في الأدب العربي ان الأدب لا ينفصل بالجوهر عن سائر الفنون الجميلة يستوحي الموسيقى والرقص والمثالة والرسم والتصوير متفاعلة

متواحية • فالأدب الجبراني يترامى مداه حتى تراه يتنوع ويتعدد : فهنا صورة والوان وهناك قالب وشكل ، وهنالك نغم ريّق فكأن جبران الأديب يستمد من جبران الرسام الوانه وصوره ومن جبران المثال قوالبه الناتئة • فاللفظة في أدب جبران اشارة موسيقية اذا ما وضعها جبران الى جانب اخواتها اتخذت مكانها الصحيح بحيث لا تشكو غربة او تنافرا بل تشعر بالانسجام التام وتبيت تشكل مع اخواتها ما يمكن ان نطلق عليه اسم السمفونية الأدبية • فاللفظة بحد ذاتها لها عذوبة فائقة كأنها نقرة عود او ارغن يحسن جبران تنقاءها ويحملها شيئا من ايقاع نفسه الداخلي ومن نغم غامض في اعماق الروح يحسه الشاعر الملهم • فاذا ما قرأنا احدى مقطوعات الأدب الجبراني نسمع نغما بقدر ما نفهم معنى او نعاني شعورا، ولا نستطيع ان نعثر على موقع الايقاع والنغم ولا ان نهتدي الى موضعه أهو ينبعث من اللفظة او من الفاظ الجملة مجتمعة او هو ينبعث من كل حرف ؟ ان الموسيقية في اللفظة الجبرانية والجملة الجبرانية قوية الى درجة تجعل النثر الجبراني برمته قريبا من روح الشعر ذي الأصداء الخفية وله مقدرة الشعر الصافي على الايحاء والتأثير • وكمثال على النغم الذي ينبث في الكتابة الجبرانية نتخذ فقرة من مقطوعة جبران (ايتها الريح) : « تتصاعدين مع الروابي ، وتنخفضين مع الأودية والسهول ، وفي

انخفاضك رقة ، وفي انبساطك رشاقة ، فكأنك مليك رؤوف يتساهل مع الضعفاء والساقطين ويترفع مع الأقوياء المتشامخين . في الخريف تنوحين في الأودية ، فتبكي لنواحك الأشجار ، وفي الشتاء تثورين بشدة فتثور معك الطبيعة بأسرها ، وفي الربيع تعتلين وتضعفين ولضعفك تستفيق الحقول وفي الصيف تتوارين وراء نقاب السكون ، فنخالك ميتا قتلته سهام الشمس وكفنته بحرارتها » [1] وانظر الى مطلع قصيدة الليل وما فيها من موسيقى خفية : « يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين ، يا ليل الاشباح والأرواح والأخيلة ، يا ليل الشوق والصبابة والتذكار » [2] .

ان هذه الالفاظ والتعابير تنطوي على نغم مهموس عميق يتصعد من احشاء اللفظة كما تتصعد الابخرة البيضاء من البحيرة الزرقاء فنشعر بالشجو والايقاع الخفي مع انه ليس ثمة وزن ولا قافية ، وذلك لأن نفس جبران لها وزن وقافية من نوع آخر هما وزن النفس الشاعرة وقافيتها التي لا يمكن ان تقع تحت الحس . ولا شك ان انتقاء اللفظة اعتمادا على الذوق الأدبي المرهف بحيث يحلو وقعها في الأسماع يلعب دورا اساسيا في بث الجو الموسيقي خلال السطور .

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٣١٩

٢ ـ م.ن. ص ٣٧٣ .

هذا عن اللفظة اما الصورة فهي احد الأعمدة التي يقوم عليها الأدب الجبراني ، لان الخيال في عرف جبران هو حادي العقل وهو اعظم قوة يتوسل بها الأديب والفنان لبلوغ ذرى الابداع. ولقد كان جبران ذا خيال نشيط يقترن بالعاطفة المشبوبة فيمكن جبران والحالة هذه من ان ينقل عن شاشة قصية في وجدانه فتضحي الصورة الجبرانية صورة نفسية اكثر منها حسية يحيي فيها ويحرك ما لا حياة فيه ولا حركة وينيط به جميع انفعالات القلب البشري واحاسيسه . وكثيرة هي المقاطع التي تنثال فيها الصور انثيالا وتتتالى بفعل عمل الخيال في الأدب الجبراني. ولا نغالي اذا قلنا ان معظم الكتابة الجبرانية هي شريط لا ينتهي من الصور المتنوعة . ونستطيع أن نأخذ امثلة من مختلف المؤلفات الجبرانية كمثال على ما نقول ولكن لا مجال للاطالة بالتمثيل والاستشهاد وانما نكتفي ببعض الجمل والمقاطع . يقول جبران في عواصفه : « في وادي ظل الحياة المرصوف بالعظام والجماجم سرت وحيدا في ليلة حجب الضباب نجومها وخامر الهول سكينتها. وهناك على ضفاف نهر الدماء والدموع المنساب كالحية الرقطاء ، المتراكض كأحلام المجرمين ، وقفت مصغيا لهمس الاشباح محدقاً في اللاشيء »[1] . فهذا المقطع يدل على طبيعة الأسلوب الجبراني في صوره النفسية الخيالية المنقولة

١ ـ المجموعة العربية ص ٣٥٧

عن شاشة قصية في اعماق ذاته ، وهي ذات قدرة ايحائية متفجرة تتخطى عالم العقل والواقع • ان (وادي ظل الحياة) و (نهر الدماء والدموع المتراكض كأحلام المجرمين) ليسا منقولين عن مشهد واقعي ولا عن معنى عقلي تقريري • وانما الخيال هو الذي تفتق بهما ونشرهما على الوينه البعيدة ، لذلك ترانا تتأثر بمعناهما دون ان نحدده تحديدا عقليا واضحا • وكذلك فان الفاظ (الحياة ، العظام ، الجماجم ، الدماء ، الدموع) تخلت عن معناها التقليدي الذهني الجامد وغدت مكسوة بالمشاعر الهاربة التي لا تعني شيئا معينا وتعني في الوقت ذاته اشياء كثيرة • كل ذلك بسبب اعتماد جبران على قوة خياله المبدع التي ترفدها وجدانيته السخية بحيث يصبح للكلمات اطار جديد وحلة قشيبة • واليك هذا المقطع من كتاب (دمعة وابتسامة) لنرى وصف جبران للقبلة الأولى وما فيه من الصور الروائع التي يستمدها من الخيال البعيد الانطلاق : (هي الرشفة الأولى من كأس ملأتها الآلهة من كوثر الحب ، هي الحد الفاصل بين شك يراود القلب فيحزنه ويقين يفعمه فيغبطه ، هي مطلع قصيدة الحياة الروحية ، هي كلمة تقولها الشفاه الأربع معلنة صيرورة القلب عرشا والحب مليكا والوفاء تاجا •••) [1] • وانظر الى هذه الروائع التي ورد منها المئات في (الأجنحة المتكسرة)

---

١ ـ المجموعة العربية ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨

« فودعتها وقلبي يخفق في داخلي مثلما ترتعش شفتا العطشان عند ملامسة حافة الكأس » او « ان النفس الكئيبة تجد راحة في العزلة والانفراد فتهجر الناس مثلما يبتعد الغزال الجريح عن سربه ويتوارى في كهفه حتى يبرأ أو يموت » .

ولنتناول امثلة اخرى على الصورة الموحية . ولتكن هذه المرة من كتاب (النبي) الذي بلغ فيه جبران اقصى مقدرته الفنية في انتقاء التشابيه المبتكرة وابتداع الاستعارات والمجازات الناتئة كتماثيل محفورة في صخر . انظر اليه موحدا بين الرجل الخاطىء الذي كشفته الأهواء وبين ذلك الذي لا يزال شامخا لانه لم يرتكب الخطيئة بعد : « ان الرجل المنتصب والرجل الساقط على الأرض هما بالحقيقة رجل واحد واقف في الشفق بين ليل ذاته الممسوخة ونهار ذاته الالهية » [1] . فلك ان تتصور هذا الرجل الواقف كعمود في الشفق بين الليل والنهار ، وهل يمكن تصور ذلك الا بالخيال والخيال وحده ! وانظر الى هذه الصورة التي تجمع بين الألوان والأشكال : « الجمال بستان تزينه الأزهار الى الأبد وجوقة من الملائكة ترفرف باجنحتها الى منتهى الدهور » [2] . وانظر الى هذا المثال الأخير وكأنه مستوحى من تمثال المفكر لرودان : « ففي اعماق آمالكم ورغباتكم

---

١ ـ المجموعة الانكليزية ص ١٠٩
٢ـ م.ن. ص ١٣٤

تتكىء معرفتكم الصامتة لما وراء الحياة . » [1] .

هذا غيض من فيض مما تزخر به مؤلفات جبران من روائع الصور التي يشترك في نسج حريرها خيال خصيب وقلب رحيب وشعور مستوفز دقاق وفكر موهوب خلاق . فلقد ادرك جبران سر الانغام وسر الخطوط والالوان فكانت كناباته في الواقع شريطا من الصور تتتالى بفن وروعة زاخرة بالجمال تواكبها الموسيقى وتخفق فيها اجنحة الخيـال . « فالكواكب عشاق يسهرون والأرض شديدة الحنـان ، وللدهور اوتار واصابع ، والخريف يسكب دماءه خمرا في الكروم. وللنبات والحيوان عواطف ونوايا واحلام، والوردة تطبق اوراقها وترتعش ثم تموت وعلى وجهها ابتسامة من حققت الحياة امانيه » [2] .

وهذا ما جعل من كتابات جبران سحرا حلالا وشعرا فوق الشعر . ولا عجب في ذلك فجبران فنان قبل ان يكون كاتبا وفي هذا سر ابداعه . وحديثنا عن الصور في أدب جبران يسلمنا تلقائيا الى الفقرة التالية وهي :

٤ ـ **الاتجاه بالنثر نحو الشعر** : لقد ابتدع جبران ـ او كان من اوائل الذين ابتدعوا ـ في الأدب العربـي

١ـ المجموعة الانكليزية ص ١٣٥

٢ ـ يراجع جميل جبر في كتابه جبران ... ص ١٩١ .

اسلوب النثر الشعري ذي العبارة الموسيقية القصيرة وهو ما يدعونه بالشعر المنثور • وقد اخذ هذه الطريقة عن الأدب الغربي ، او عن والت ويتمان الأميركي وسار عليها هو والريحاني في زمن واحد • فلم يعد الشعر هو الكلام الموزون المقفى بل هو النثر المترع بالمشاعر والعواطف الذي تنبعث منه موسيقى داخلية غامضة تختلف تماما عن موسيقى القافية الرتيبة وعن موسيقى الموازين الخليلية التقليدية • ومنذ ان كتب جبران مقاله (الموسيقى) سنة ١٩٠٥ الى مؤلفه الأخير (حديقة النبي) كان يكتب بلغة شعرية تختلف عن لغة النثر العادي، لا بل عن لغة النثر الأدبي ، بما وضع فيها من خلاصة روحه المتأججة الشاعرية • فلا يوجد نثر أدبي لكاتب عربي يمتلىء بالمشاعر الرهيفة الشفافة والصور المبتكرة الغنية يضارع النثر الجبراني •

« نعم كان التعبير الجبراني في اول امره على شيء من القلق تحس منه انك مع فرخ نسر يريد ان يحلق الى اجواء النسور . تحس انه يقصر عن اداء الحياة الغامرة المتلجلجة في خاطر الفتى الناشيء • ولكن هذا الاداء الجبراني ما لبث ان سقطت منه النوافل شيئا بعد شيء • ولما بلغ (العواصف) واواخر (البدائع والطرائف) شارف على صفائه ورق ، وارتحب وراق فيه فضاء الايقاع وارتقى اللفظ من مداوله العقلي الحصري الى الأقاليم الموسيقية الرحبة • وشاع

هذا الايحاء البحراني الذي حوّل النثر برمته شعرا في يديه. فوثب لأزل مرة في الأدب العربي الى عرش الشعر وزالت الهاوية الفاصلة بين الشعراء والكتاب وعم المنظوم المنثور . لقد تحررت القوافي من سجون الخليل وولد الشعر العربي المنثور وتفرع في الأدب المعاصر على الأمصار » [1] ، ان تلك التعابير الجبرانية الجميلة باستعاراتها وتشابيهها وكناياتها اللطيفة المجنحة هي التي تطبع النثر بطابع الشعر من مثل (الذات المجنحة) خمرة السنين ، سكينة الليل ، ثوب السكينة ، حقل القلب ، مراشف الأرواح ــ تكلمت الطبيعة بألسنة السواقي وابتسمت بشفاه الأزهار ــ سرت على طريق الحياة مثل صبي ضائع بين الأحياء المهجورة ــ والكثير جدا سواها مما لا يقع تحت حصر . ولنأخذ مثالا على هذا الشعر المنثور مناجاته للارض في (البدائع والطرائف) :

« ما اكرمك ايتها الأرض وما اطول اناتك . ما اشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم ... نحن نضج وانت تضحكين . نحن نذنب وانت تكفرين ، نحن نجدف وانت تباركين . نحن نهجع ولا نحلم وانت تحلمين في سهرك السرمدي . نحن نكلم صدرك بالسيوف

---

١ ـ يرجع الى محاضرة للدكتور انطوان غطاس كرم بعنوان : جبران تأثراته وتأثيراته . (الندوة ١٩٥٦)

والرماح وانت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم • نحن نزرع راحاتك بالعظام والجماجم وانت تستنبتينها حورا وصفصافا • نحن نستودعك الجيف وانت تملئين بيادرنا بالأغمار ومعاصرنا بالعناقيد • نحن نصبغ وجهك بالدم وانت تغسلين وجوهنا بالكوثر • نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وانت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق • ما اوسع صدرك ايتها الأرض وما اكثر انعطافك » •

ولا شك ان هذه المناجاة تتضاءل ازاءها قصائد كلاسيكية كثيرة • فنحن امام شعر جميل لم ينقص من قدره انه تحرر من اوزان الخليل والقوافي التقليدية • ونعتقد انه عندما يقال الأسلوب الجبراني تعني هذه التسمية النثر الجبراني على الرغم من ان شعر جبران لا يختلف من حيث الروح والعبارة عن نثره •

٥ ـ **التغني بروحانية الشرق** : لقد تغنى جبران بروحانية الشرق وكان تغنيه رائعا شجيا فكأن جبران احد الحواريين او احد الذين تقمصتهم روح نبي من انبياء الشرق القديم • ولم يكن لجبران الاديب دين معين بل كانت كل الأديان دينه يمزج بينها في خياله كما يحلو له ويتناول منها بشعوره ما يشاء، غير آبه بمذهب معين او بمقاييس او طقوس

تعارف عليها البشر . وما ذلك الا لأنه تأثر بكل ينابيع الشرق الروحانية ، بكل اديانه ومعتقداته ، بكل انبيائه وصوفييه . فلقد تأثر اول ما تأثر بالانجيل فنراه يستشهد كثيرا بأقوال الناصري ويعبِّر عن محبته له بأشكال مختلفة بالرسم وبالكتابة . ففي (يوحنا المجنون) وفي (خليل الكافر) ثورة على اساس مسيحي وترداد لكلمات يسوع التي يعتمدها منطلقا لمهاجمة رجال الدين والشيخ عباس . وفي (دمعة وابتسامة) يمجد (كلمة الحياة) التي تجسدت طفلا بين ذراعي ابنة (بشرية) في مكان حقير ، ويتغنى بذلك الطفل النائم على القش اليابس في مذود البقر ، بل بذلك الملك الجالس فوق عرش مصنوع من القلوب المثقلة بنير العبودية. وفي محترفه في نيويورك احتلت الحائط الغربي صورة كبيرة ليسوع مصلوبا على قماشة قديمة العهد ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على احترام كلي للناصري رضعه جبران طفلا وما انفك يعرب عنه منذ ان انقادت له وسائل التعبير. ولا تزال هذه القماشة محفوظة في متحفه في بشري . وما كتابه (يسوع ابن الانسان) الذي استنزف جهده وعجل بموته المبكر الا الدليل على اهتمام جبران اللامتناهي بشخصية يسوع . وكما تأثر بالانجيل وبرؤيا يوحنا وعوالمه العجائبية كذلك تأثر بالتوراة ، « ونقع على نكهة العصير التوراتي المعتق في مختلف كناباته التي نستطيع ان ننظر اليها من خلال

نشيد الأناشيد عرس الغزل القديم المترف ، ومـــن خلال الملل الوجودي الذي يغلل سفر الجامعة ، والصلاة التي تبلغ بها السماء نفس داود ، وروائعة الدهور من سفر ايوب ، ومن خلال نبوة ارميا ومراثيه » [1] ، وما لجوء جبران المستمر الى الأمثال والرموز والوعظ الا اسلـــوب نبوي تبشيري مستمد من التوراة كما هو مستمد من الانجيل • وبالتأكيد لم يقتصر تأثير التوراة على جبران من ناحية المعاني والصور الشعرية فحسب بل كانت حلتها العربية النثرية التي البسها اياها ابراهيم اليازجي منطلق جبران الى روائع النثر الجميل المشرق الذي ابدعه • كما كانت حلتها الانكليزية الأنيقة التي تجلت في طبعة الملك جيمس وسيلة جبران وبوابته التي ولج منها الى عالم اللغة الانكليزية وآدابها •

وعندما تغلغل الفكر الهندي في اميركا الى درجة جعلت لوندل توماس ينشيء كتابا عنوانه (لقد اجتاحت الهنـــد اميركا) وعندما كانت الحلقات الصوفية (المهندة) تنمـــو بسرعة الفطر وجد جبران فيها ما استهواه وما جعله يؤمن بعقيدة التناسخ ووحدة الوجود ، فأخلص لهما الاخلاص كله واصبحا اطارين يلازمانه ملازمة الأطار للصورة • فهو يستمد من عقيدة التناسخ بعد ان اضحت في روح ادبه اجمـــل

---

١ ـ يرجع الى محاضرة للدكتور انطوان غطاس كرم بعنوان : جبران تاثراته وتاثيراته (الندوة ١٩٥٦) .

التعابير وأكثرها شاعرية، اسمع اليه يلجأ الى هذه الصورة الرمزية الرائعة ليجسد تلك العقيدة تجسيدا شاعريا جميلا :
« ان مياه البحر تتبخر وتتصاعد ثم تجتمع وتصير غيمة وتسير فوق الطلول والأودية حتى اذا ما لاقت نسيمات لطيفة تساقطت باكية نحو الحقول وانضمت الى الجداول ورجعت الى البحر موطنها الأول . حياة الغيوم فراق ولقاء كذا النفس تنفصل عن الروح العام وتسير في عالم المادة وتمر كغيمة فوق جبال الأحزان وسهول الأفراح وتلتقي بنسيمات الموت فترجع الى حيث كانت الى بحر المجد والجمال الى الله » [1] .

ويستمد من عقيدة وحدة الوجود مثل هذه التعابير التأملية : « كل ما في الوجود كائن في باطنك وكل ما في باطنك موجود في الوجود ، وليس هناك حد فاصل بين اقرب الأشياء واقصاها ، او بين اعلاها واخفضها ، او بين اصغرها واعظمها ، ففي قطرة الماء الواحدة جميع اسرار البحار وفي ذرة واحدة جميع عناصر الأرض وفي حركة واحدة من حركات الفكر كل ما في العالم من الحركات والأنظمة » [2] .

كذلك نرى الطقوس الغنوسطية قد وجدت لنفسها

---

١ ـ المجموعة العربية (دمعة وابتسامة) ص ٢٣٥
٢ ـ المجموعة العربية (ارم ذات العماد) ص ٥٧٥

مكانا في ذهن جبران وقلبه فكل انسان كامل كان مسيحا ؛ والمسيح كان (ابنا لله كما اننا نحن ايضا ابناء الله) [1] . « والانسان الكامل اله ينهض ببطء » [2] .

وكذلك نرى تأثر جبران بالصوفية الاسلامية صوفية الغزالي وابن الفارض وابن عربي وابن سينا . وبكلمة واحدة كان جبران يمتاح ينابيع الصوفية الشرقية ويتلقى رياهـا ويترسم غايتها التي هي النقاء والتطهر من الحس والمادة والاتحاد بالله ، ويتغنى بها تغني المؤمن الذي وجد ضالته.. مما اعطى لكتبه مسحة الاسفار المقدسة وشيئا كثيرا من لغتها ونكهتها .

٦ ـ تلقيح الادب العربي بلقاحات ثقافية غربيـة :

« انه من الصعوبة ان يحدوك شيطان الاستقصاء الى تتبع الجداول المختلفة التي ترفد بحر العبقرية وان ترافق تكوين هذه العبقرية في سراديب عملية التأثر خاصة عندما تكون العبقرية مشرعة الأبواب والنوافذ تتلقى النسمات والأشعة من كل جهة وصوب » [3] ولكن ما فات كله لا يترك جله كما يقولون، فأنت واقع في الكتابات الجبرانية ولا شك على

١ ـ المجموعة الانكليزية ص ٣٥٥ .
٢ ـ المجموعة الانكليزية ص ٣٩٣
٣ ـ راجع محاضرة للدكتور كرم : تاثرات جبران وتاثيراته (الندوة ١٩٥٦) .

الوان رومانتيكية تتجلى في الحنين الى الطبيعة وفي وصف هذه الطبيعة وصفا كانه الغزل . وفي هذا الطيف الحزين الذي يمثل شرقا لم يضحك في قرارته زمنا طويلا ، وفي هذه السويداء القاتمة ينسل اليها الداء من قديم الحكم التركي الى زمان عبد الحميد الطاغية الى مآتم المجاعة في الحرب العالمية الاولى . وفي هذا الهروب من التيارات المادية الى التفكير الروحاني والى العيش في اجواء عاطفية تكتنف الأديب من كل مكان . كذلك في تلك العفوية الندية عند جبران وفي سلاسة التركيب وفي تنفس روحه التي سحرها الجمال وانين قلبه الذي ملأته المحبة وتيمه الهوى . انه في هذه الناحية ايضا رومانطيقي ثار على الصناعة اللفظية التقليدية كما ثار بيرون وكيتس وشلي على قوالب العهد الاليزابيتي . وانت واقع على الوان تستطيع ان تعتبرها الى حد ما ملتقية مع الأدب الرمزي تبدو في موسيقى الكلمة والحرف التي يذهب بها جبران الى نهايتها كأنهذه الموسيقى هي المقصودة بذاتها ، الأمر الذي يخلق جوا غامضا في كثير من النصوص الجبرانية يماثل الأجواء الغامضة التي تكتنف الأدب الرمزي . ومع ذلك فليس جبران رمزيا بل الواقع ان جبران والرمزية على طرفي نقيض ، لانه شاعر القلب والخيال يسلطهما على العقل وهم يسلطون العقل عليهما . فهو ان اورد الألفاظ متساوقة النغم فلكي يؤدي فكرة معينة في

ذهنه وفي ذهن السامع دون ان يكد من اجلها وان يتصنع . اما هم فيحاولون ان يثيروا احاسيس مبهمة تختلف باختلاف السامعين شأن الموسيقى التي يتأثرها الرمزيون عن كثب •

ولعلنا نستطيع ان ننسب الى جبران شيئا من التأثر بالمدرسة الواقعية يتجلى في مؤلفاته الأولى الموسومة بسمات البيئة اللبنانية بصورة خاصة والشرقية بصورة عامة •

ولعلنا نستطيع ان نجد شيئا من منحى افكار كتاب وشعراء عديدين تأثر بهم جبران الواحد تلو الآخر • فجبران يذكر بصورة غير مباشرة انه اخذ فكرة الانسان الزائل بجسده سريعا وكأنه كتابة بالماء، عن كيتس، وذلك عندما قال في مواكبه : انما الناس سطور كتبت لكن بماء [1] •

وفي حديثه عن الأطفال في كتاب (النبي) يبدو أثر (Wordsworth) الذي يعتبر ان الطفل كائن ارقى وان الطفل يعي بذاكرته المجد الالهي حيث كان قبل ان يولد •

كما ان فكرة الله والروح الشاملة التي تلف الطبيعة والانسان هي فكرة (أمرسون) • ومن يقرأ اقصوصة جبران

---

١ — يقول كيتس :
(Here lies one whose name was write in water)

(سفينة في ضباب) ص ٩٤٣ من المجموعة العربية يرَ تأثره بـ
(أدكار الن بو) الذي اتصف بالاجواء الغريبة والتحدث
عن الفواجع الخيالية وكأنها واقعية تجري في عروقها الدماء .
ومن لا يعرف تأثر جبران الكبير برودان ثم بوليم بلايك
فنا وآراء ! وسنتحدث عن تأثره بفنيهما عند حديثنا عن
جبران الفنان. ولنذكر الان على سبيل المثال شيئا يدلنا على
تأثير بلايك في جبران من ناحية الآراء . ففي كتاب بلايك
(زفاف السماء والجحيم) نجد بلايك يؤمن بالتناسخ
وبوحدة الوجود ، ولا شك انه كان مصدرا لايمان جبران
بهاتين العقيدتين قبل انتشار الفلسفة الهندية في اميركا في
اعقاب الحرب الكونية الاولى منذ ان كان في باريس . ونجد
ان بلايك كجبران يدعو الى قلب الشرائع ليقيم بديلها نظما
في الاخلاق جديدة ، ويفتعل الحرمان لان الحرمان فوارة
الاحلام ، والرؤى مكونة العالم الميثولوجي الذي يضج
بالاشباح والأرواح والجبابرة والاخيلة . ونرى بلايك يعتبر
ان المسيح قد مات حيا فبلغ الالوهة (وهو الاله الوحيد)
ثم يقول ولكن انا ايضا هو الله ... وانت ايضا . ويلاقيه
جبران برأي شبيه برأيه اذ يقول عن المسيح (انه كان ابنا
لله كما اننا نحن ايضا ابناء الله) .

وهذا قليل من كثير مما نستطيع ان نتناوله في هذا
المجال لنبرهن على رفد جبران للادب العربي بروافد من

الثقافة الغربية • وعلينا ان نقول قبل ختام البحث في هذه النقطة، ان كتابة جبران بالانكليزية هي بشكل او بآخر نوع من التأثر بالأدب الانكليزي لغة وصياغة ، اذ ان جبران من الأدباء القلائل في تاريخ الأدب الذين استطاعوا ان يكتبوا بلغتين مختلفتين ويحققوا مستوى عاليا في كل منهما • ولا بد لنا من ان نقول ان جبران لم يتوكأ على مذهب معين لان (المذهب عكاز الأعمى) بل جمع لنا من كل حقل زهرة منسقا باقة رائعة الالوان مليئة بالاريج •

٧ ـ الاتجاه بالادب نحو الانسانية : « لم يقيض للادب العربي في كل دورة من عصوره عبقري جمع من حصاد الثقافة الانسانية ما تيسر لجبران • اذ ان ادبنا ظل في معظمه محافظا في الشكل والجوهر ، يتبدل فيه الجزء وتسلم الجملة • وما خرج الى الانسان والوجود الارحب الا في خطرات ولا تصدى لقضايا الكون الا مرة واحدة مع ابي العلاء • وكأنما الهزة التي تنتشل الأدب الى ما وراء التخوم عادت اليه بعد طلاق • وكان ابو العلاء حصيلة المعرفة الحضارية والمصب الذي انتهى اليه التراث اصيله ودخيله وتمثل فيه واقع الأمة في ابعادها البشرية اجمع • ويأتي جبران فيثب الادب العربي معه مرة ثانية الى الفضاء الانساني . واذا تساءلنا ما هي الانسانية في الادب وكيف تبدو معالمها عند جبران نرى ان معنى الانسانية يتقلب على

الوجوه الخمسة التالية : ١) هي بمعناها العام كل نظام فكري من شأنه العناية الجلى بالانسان • ٢) ـ واطلقت التسمية على الحركة الفكرية التي هدفت الى فك تقاليد العصر الوسيط في اللاهوت والفلسفة • ٣) ـ كما انها اطلقت على فلسفة (أوغست كونت) التي جعلت الانسان مرتكز الالوهة • ٤) ـ وان رائد اربابها في المانيا ازالة الفوارق الاسروية والاخلاقية ودحض العرف الذي اقرها ليبلغ الانسان آخر حدود كماله وتتحقق ذاته على الوجه الأتم • ٥) ـ وان هذه النزعة الانسانية الشاملة كانت وليدة الرجوع الى التنقيب في الثقافة الكلاسيكية جملة فخرجت عن حكمة واسعة واخلاقية صافية •

وكيفما قلبت هذا التحديد على وجوهه الخمسة وجدته يلاقي واقعه في ادب جبران وفنه من عنايته بشؤون الانسان ليتحقق فيه الأمثل الى دحض تقاليد عصور الظلمات فكرا ودينا واجتماعا وادبا ، الى طلب الحكمة الواسعة واقامة جدول اخلاقي جديد ، الى جعل الله في الذات والارتقاء بالانسان (الأثيري) الى تلك الالوهية • » [1]•

ولقد كان جبران في اول عهده في الكتابة يخاطب

---

١ ـ يراجع انطوان غطاس كرم : **جبران الخالد** تأثيراته وتأثراته . محاضرات الندوة **اللبنانية** سنة ١٩٥٦ ص ٢٤٢ .

انسان لبنان بصورة خاصة وكان ابطاله محليين من بيئات شمال لبنان بصورة عامة • ولكن ما لبث ان اتسعت آفاقه عندما اشتد جناحاه وانطلق محلقا الى اجواء عالية يرى منها الأرض قرية واحدة واهلها عائلة واحدة هي الانسانية التي وهبها جبران قلبه ومحبته ولمع فكره المتوقد • فالانسانية هي نشر المبادىء السامية والمثل العليا بين الناس ومحاربة النظم التي تباعد بين الانسان واخيه الانسان ، والعمل على خلق مجتمع انساني امثل يسوده العدل والرحمة والمحبة ، وعلى تخفيف الشقاء الانساني أو هو بكلمة اخرى : المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود بغير تفضيل او تفريق • من اجل كل ذلك كرس جبران مواهبه واستنزف قواه وبذل جهودا مضنية لا يستطيع الا القلائل ان يبذلوها بحثا عن الفكرة التي تتلجلج في اعماقه وعن الصورة التي يريد ان يضعها فيها • وكل ذلك واضح في كثير من كتاباته وخاصة في كتاب (النبي) الذي ارتقى فيه الى ان يكون شهابا يفنى ليطلق نوره في الآفاق • ولقد بحثنا مفصلا في انسانية جبران المنطلقة من المحبة الشاملة في ذلك الفصل الذي كتبناه تحت عنوان (جبران والحب الصوفي البريء • المحبة الشاملة) فليرجع اليه •

وهكذا كان جبران مدرسة ادبية او كان محورا

لمدرسة ادبية هي مدرسة المهجر الأدبية «تدور في فلكه كوكبة من الشعراء والكتاب تكــون بمثابة تكملــة واستمرارا وامتدادا للزي الادبي الذي ابتدع ٠ ولقد ترامى مدى هذا الفنان الاديب وتفرع وتعدد ، هنا فكرة او صورة ، وهناك نغم او لفتة غيبية يتلقاه الزم من لازمه فالابعدون ثم تتباعد الدائرة حتى تبلغ البرازيل ولبنان وسوريا ومصر وترى قسما كبيرا من اجود ما آبدعوه مردودا على غير افتعال الى المعلم صاحب الرابطة وعميدها » [1] ولذلك حرصنا على ان نتكلم عن جبران المدرسة الادبية لأن دوره كرائد لا بد منه لاكمال الصورة المشرقة التي ترسمها كتاباته ٠

---

١ ــ يراجع الدكتور انطوان غطاس كرم (جبران تأثراته وتأثيراته) الندوة ١٩٥٦ .

جبـران الفنـان الرسـام

هناك من يساوي بين جبران الاديب وجبران الفنان . وهناك من يرفع جبران الفنان فوق جبران الاديب ، ولا شك ان جبران الفنان يساوي جبران الأديب او يفوقه . ومن لا يعرف جبران الفنان لا يحصل الا على نصف معرفته لهـذه الشخصية الفذة ولا نستطيع ان ننصف جبران ونضعه في الموضع الذي يستحقه ولا نستطيع ان نرسم صورته الحقيقية الكاملة ــ التي كانت هدفنا في هذا الفصل من دراستنا ــ حتى نتحدث عن فنه كما تحدثنا عن أدبه .

والواقع ان جبران كان في خلقه وابداعه يعمل على جبهتين،جبهة الفن وجبهة الأدب، ولا يترك احداهما الا لينتقل الى الأخرى . وكانت الفكرة عنده تعبيرا جميلا او لوحة رائعة . وكثيرا ما كان يستعين بفنه ليصور الفكرة التـي اودعها في ادبه ، ولذلك كانت مؤلفاته معارض للوحاتـه الجميلة . فرسومه لا تنفصل عن ادبه وهي بلورة الصور والفكر والخطوط والالوان والظلال ، تولد في خاطـره وتنهل في انامله انهلالا . ولقد ترك جبران ارثا فنيا ضخما ، الذي كان موجودا منه في متحفه في بشري يوم زارته بربارة

يونغ يقرب من السبعماية وخمسين رسما . [1] .

ونحن لن نتحدث هنا عن تأثر جبران بالمدارس الفنية وبأساطين الفن من امثال رودان وبلايك [2] . وكيف كان في المرحلة الاولى التي تبرز فيها تفاصيل الوجود والاجسام متأثرا برودان وكيف اصبح في المرحلة الثانية متأثرا ببلايك فأضحت الوجوه والاجسام هوائية بعيدة سلم منها المجمل لا تعنيك من حيث هي شكل بقدر ما تعنيك ككل من حيث هي حركة نزاعة الى فكرة او نزوة او شعور صوفي ابهى . اجل اننا لن نتحدث هنا عن كل ذلك لان غايتنا من هذا البحث تقتصر على اكمال صورة جبران التي رأيناها من خلال كتاباته اي على اظهار قيمة رسوم جبران في موازين الفن ونقاد الفن ، الامر الذي يعطيه صفة الفنان المبدع كما اعطي بكتاباته صفة الكاتب الخلاق .

ولقد برع جبران في رسم الوجوه وكانت تنعكس في وجوهه دورة الوجود وتعلق فيها بره الحياة واقاليم النفس،

---

١ ـ يراجع كتاب (هذا الرجل من لبنان ص ٢١٧) ... ومن المؤسف ان بعض لوحات جبران قد تلفت بفعل الرطوبة وربما قد سرق بعضها لانها الان اقل من هذا العدد وهناك في بشري قيل وقال حول عددها وما حدث لها .

٢ ـ من اراد ذلك فليرجع الى محاضرات الندوة سنة ١٩٥٦ وليقرأ محاضرة انطوان كرم عن جبران .

وكانت نوافذ يطل منها جبران على اكوان اصحابها وارواحهم . وفي رسمها كان موضوعيا ينهج النهج الكلاسيكي من حيث وضوح التقاسيم وتناسب المقاييس وبروز الخطوط على رشاقة في اللمسة وامانة للطبيعة والتراث الموروث . وقد رسم جبران عددا من وجوه العظماء الذين يجلهم وعددا آخر من وجوه معاصريه . وجدول اسماء الذين رسمهم جبران جدول طويل مذهل اذا ما تذكرنا ان الفنان كان ايضا الشاعر الذي لا ينقطع عن الكتابة . ومن قائمة هذه الاسماء الطويلة نذكر المسيح ومحمد وسقراط وام يسوع ، والمجدلية ، وابن سينا ، والغزالي وابن خلدون وجاندارك ، وطاغور وميشلين ومي و Materlinck و Edmon Rostand و Rodin و Markham

واليك رأي احدى الصحف الاميركية[1] في هذه الوجوه «ان القيم التكنيكية للوجوه قيم ممتازة مدهشة وقد حصل عليها الرسام بخط قلم ليس الا . فكانت احدى الوسائل التي اتبعها هي التشدد باظهار الخطوط السوداء على اساس من الخطوط الخفيفة مما انتج اشعاعا نورانيا وتموجا اونيا يسبغان على اللحم شعورا خفاقا من الحياتية » . والحق يقال ان من ينظر الى تلك الوجوه وبصورة خاصة وجوه النساء

---

١ - يراجع (هذا الرجل من لبنان) ص ١٠٥

اللواتي احبهن جبران كميشلين ومي" يرى اضطرام الوجه واعماق الروح تتجلى تجليا • ويتجلى ابــداع جبران في الرسوم التي اتخذها وسائل للتعبير عن افكـــاره ورؤاه البعيدة واحلامه الحبيسة • ومن امثال هذه الرسوم رســم يمثل كلا من العدل والخيال والدين والحرية التي زين بها جبران مواكبه ، ورسم اليد المبدعة ، والالم ، في كتاب النبي • ولنشرح واحدا من هذه الرسوم لنرى كيف انها تعبر عن افكار جبران واحلامه ورؤاه • اننا نبصر في الرسم فتى بجناحين وقد اطلق جناحيه الى فوق وباعد بين رجليه وجمع كل قواه للطيران • ولكنه لا يستطيع ان يرتفع عن الأرض تحدق في عضلاته فتراها متوترة مشدودة من قوة الاجهاد وترى وجهه منصبا بكل معانيه الى غاية واحدة • فتبحث عما يمنعه من الطيران فترى الحبال المحبوكة حول رجليه وتعلم ان لا طيران ولا تحليق لهذا الفتى حتى يقطع هذه الحبال . انها حبال الرغائب والشهوات الأرضية التي تمنع الروح الانسانية من التسامي والوصول الى الالوهية، وحول هذا الفتى اشباح من الناس أضآل اجساما غارقون في هذه الشهوات ولا اجنحة لهم للطيران فلقد فقدوا الأمل نهائيا بكل تسام ، أو انهم لم يعودوا يعرفون ان هناك عالما اسمى فوق عالم الشهوات اللاصق بالتراب . وكأن صورة هذا الفتى تعبير آخر عن الفكرة التي وضعها جبران في

البيت القائل :

والحر في الأرض يبني من منازعه
سجنا له وهو لا يـدري فيؤتسر

وكان جبران كوليم بلايك من الرائين الذين يتجاوزون حدود المعقول شطر اللاوعي في فضاء الغيب ليعودوا منه بالرموز والصور • فجبران كبلايك لا يرى الشمس كرة نارية بل جوقة تنشد المحبة والمجد لله في العلى • ومناطق اللاوعي التي يرودها الراؤون تختزن طاقات ايحائية وايقاعية يريدون اقتناصها •

ومن خلال هذه الزاوية نستطيع ان نفهم رسوم جبران التي تبدو احيانا شديدة الغرابة ونفهم جبران الرائـي ذا الخيال المجنح الهائم في اجواء الأثير• اننا نستطيع ان نفهم كيف كان الشلال عند جبران سيلا من العاريات ينزلقن بخفة وعزم واتساق هي خفة المياه المتحدرة وعزم التيـار الجارف واتساق النظام الكوني • اما الدينامية المتصلـة فيجسدها الانزلاق المتدافع • والجبل ليس عنده كتلة من الصخر والتراب بل هرم من الاجساد العارية المكدسـة المتصاعدة • والصمت ليس الا صورة المرأة ذات الجسد الأبيض الجميل كأنما هو قد من رخام رائع ، الواضعـة اصبعها على شفتيها • واذا ما دقق الناظر في هذا الجسد الأبيض

الجميل تكشف عن صخر نسجه الدقيق اجساد بشرية .
ولقد رسم جبران الشلال والجبل على هذه الصورة لانه
يرى فيهما (روحيهما) . ولعل مذهب جبران يتمثل في
هذا القول المنسوب له : « ان الحياة عارية والجسم العاري
هو اقرب واجمل رمز للحياة ، فاذا ما صورت جبلا في شكل
كومة من الاجسام العارية او شلالا في هيئة سلسلة من
الأجسام العارية الهاوية من فوق الى تحت ـ فلأني أرى
الجبل كومة من كوم الحياة والشلال مجرى من مجاري
الحياة »[1] . وعلى هذا النسق رسم جبران (فوارة الألم)
اجساما عارية متماسكة بعضها ببعض وكأن قوة تقذفها الى
فوق قذف عمود من الماء ثم تهوي بها الى تحت وتبعثرها
كقطرات اذ تهبط الى الحوض .

اذن كان الانسان وسيلة تعبير عند جبران، كان وسيلته
الفضلى في التصوير ذلك الانسان الهيولي الذي لم يعطه
جبران شكله المميز لكي يمثل الكائن الشامل المجرد . وكم
في هذه الوسيلة من جمال وابداع تضفي على فن جبران
روعة فريدة . لقد كان جبران في اشكاله البشرية التي
يبتدعها يلبس المجردات من الفكر والرؤى اجساما محسوسة
وكان يرى في الجسد الأرضي كما يرى بلايك جزءا من
الروح . وهو يفعل ذلك لانه لا يريد ان يقدم للناظر اشياء

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ٧٦ و ٧٧

تشغل حواسه بل هو يريد ان يشغل خياله عن طريق قفزة من عالم الحس المحدود الى عالم الخيال والفكر غير المحدود .

ولقد كانت لجبران شخصية فنية مستقلة تميزه . فهو في حقل الفن ـ كما كان في حقل الأدب ـ عبقري لا يتوكأ على مذهب لأن (المذهب عكاز الأعمى) ولا يحتاج اليه العبقري الا ليستأنس به ويتناول منه ما يتفق مع عبقريته . فاثناء اقامته في باريس كانت المذاهب التصويرية من تكعيبية وتجريدية تعتمد على هرمونية الخطوط والأصباغ وتعبيرية تبالغ في اظهار الجزء على حساب الكل . في أوج انطلاقها . ولكنه تنكب عنها والتفت الى الكلاسيكية بما فيها من تقنية ودقة في ضبط النسب والاتساق الجمالي . واصر على المداول الانساني في الفن واعتمد على الخيال ليظل على اتصال بعوالم الرؤيا وشفافيتها . فشكل بذلك فنا يتميز به وحده ويرضي روحه وشخصيته ويحمل المتعة والاحساس بالجمال والعبقرية الى العيون والقلوب .

ولعل تقييم جبران الفنان الذي ورد في صحيفة Trans cript) المحافظة التي تصدر في بوسطن . [1] . يعطينا فكرة عن نظرة الوسط الفني الى رسوم جبران .

---

١ ـ هذا الرجل من لبنان صفحة ١٠٢

قالت الصحيفة :

« ان جبران شاب لبناني يظهر في رسومه مزاج شعبه الخيالي وخيالهم الشعري كما يظهر ميلا مفردا عجيبا للخلق. ان جمال اخيلته التصويرية لجمال مذهب ونبلها نبل مدهش، كما ان مدلولات تخيلاته المفجعة مدلولات مخيفة مرعبة . بيد ان رسومه على العموم تترك في النفس اثرا عميقا . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار سنه فان القيم التي ظهرت في صوره لقيم رائعة في اصالتها وعمق اهميتها الرمزية . ان الرغبة في التعبير عن الافكار الميتافيزيكيـــة انتصرت على القيـــود التكنيكية انتصارا واضحا فيسرت لجمال الفكر المعنوي المجرد ان يثير الخيال اثارة كبرى » .

ولقد نشر سنة ١٩١٩ كتاب (عشرون رسما) ضم كما ذكر اسمه عشرين رسما لجبران عرف الاميركيون عن طريقه فن جبران على نطاق واسع . وهذا الكتاب في رأي بربارة يونغ لم يكن سوى لمحة من عالم الابداع الذي كان جبران يسعى فيـــه . ولقد جاء في مقدمتـــه التي كتبتهـــا Alice Rafael « ان قيم الشرق والغرب تمتزج فيـــه بسهولة تعبيرية فريدة فبالرغم من انه رمزي فهو لم يتقيد بتعابير تقليدية كما كان عليه ان يفعل كواحد يخلـــق على النمط الشرقي ... وليس في فنه نزاع بين الفكرة والعاطفة

على اي منهما ستسود لان الاثنين قد ثبتتا بالتساوي . وفي هذا التزاوج بين ميلين متضادين يسمو فن جبران عن المنازعات المدرسية ويجل عن التقيد بالتقاليد الكلاسيكية والروماتنيكية المحدودة » [1] .

اجل هكذا يسمو جبران فوق المنازعات المدرسية ليقدم فنا ملونا بالوان عبقريته التي غذتها ينابيع شرقية وغربية فتميز فن جبران وكان فنا ربما للمرة الاولى يلتقي فيه الشرق بالغرب بهذا العمق وبهذه الصورة الفريدة . ولذلك رأينا ان الحديث عن فن جبران لا بد منه لاكمال تلك الصورة المشرقة التي ترسمها لنا كتاباته .

---

١ ـ هذا الرجل من لبنان ص ١٠٧ و ١٠٨ .

الفصل الثاني

صورة جبران كما يرسمها نعيمه
في كتابه عـن جبران

ان الصورة التي رسمها نعيمه لجبران تكاد تختلف كلية عن صورة جبران المشرقة التي طالعتنا من خلال كتابات جبران ورسومه . فذلك الحب المتسامـي وتلك المحبـة الشاملة يظهران في كتاب نعيمه عـن جبران كضرب مـن الاوهام. وتلك الثورة المخلصة ضدالتسلط والمتسلطين تظهر كتعبير عن نقمة جبران على الناس الذين لا ينتبهون الـى وجوده ولا يقدمون له ما يتضور له جوعا من مجد وثناء وتقدير وشهرة . اما التسامي فوق الطمع المادي فيستبدل بنقيضه في الصورة النعيمية لجبران . فجبران طامع بالحطام المادي وضنين به بعد ان يصبح في حوزته لا يخرج منها الى اقرب المقربين اليه . وهناك ظلال يلقيها نعيمه علـى دور جبران كرائد وواضع لمدرسة ادبية ، كما ان جبران الفنان لا يسلم من ظلال تلقى على رسومه وفنه .

فكتاب نعيمه يتعارض تماما مع كتاب (هذا الرجل من لبنان) لمؤلفته الشاعرة الاميركية بربارة يونغ ، ففي كتاب بربارة نشعر بأبلغ الاعجاب والمحبة لهذه الروح —

روح جبران ــ التي تعيش في صراع دائم لاجل الكمال .
بينما يشعرنا كتاب نعيمه بالنفور والحذر من هذا الانسان الذي يعيش على خداع نفسه وخداع الاخرين . وشتان ما بين الصورتين . [1] .

وكتاب (ذكرياتي مع جبران) للفنان اللبناني يوسف الحويك يتعارض ايضا مع كتاب نعيمه عن جبران. فالحويك يفترق عن نعيمه ويلتقي مع بربارة يونغ في تمجيد روح جبران وعبقريته مما دفع اديبا كعيسى الناعوري الى القول ان في كتاب الحويك كثيرا من الانصاف لجبران [2] . فكأنه يريد ان يقول ان كتاب نعيمه عن جبران قد خلا من الانصاف لجبران .

وهناك كثيرون كالريحاني وفيليكس فارس يجدون في كتاب نعيمه ما يؤلم النفس او ما يدل على انانية لدى مؤلفه . ولكن ليس لنا ان نناقش اراءهم الان فلسنا هنا في معرض تقييم كتاب نعيمه ــ وانما اردنا ان نذكر موقف هؤلاء من كتاب نعيمه عن جبران لندلل بادىء ذي بدء على وجود الوان مستهجنة في الصورة الجبرانية التي رسمها نعيمه. ومطاعن تبغي النيل من اديب رائد كبير وغمزات من قناة

---

١ ــ ادب المهجر ص ٢٦٥
٢ ــ م.ن. ص ٣٦٥

جبران لا يمكن ان تحمل على محمل الانصاف والاخلاص للحقيقة .

واذا اردنا ان نعدد هذه الالوان المستهجنة وهذه المطاعن والغمزات وجدنا انها على نوعين : منها ما يأخذ صفة الموضوع والقضية . ومنها ما يكون مقتصرا احيانا على رأي او تهمة تعبر عنه جملة واحدة يكاد لا يتبينها الا القارىء المتمعن . فتلك التي تأخذ صفة الموضوع او القضية هي التي أثارت الجدل الكثير وهي التي سنناقشها واحدة واحدة اذ انها ستؤلف مادة هذه الرسالة ولا بأس في ذكرها منذ الآن ذكرا فقط كسلسلة حلقاتها العناوين التالية :

علاقة جبران غير المشرفة بالمرأة (الملاك المزيف . ميشلين . ماري . الفتاة الغريبة) جبران النبأ الكاذب . جبران المقلد انيتشه في النبي والمناقض لنفسه .

اما تلك التي تقتصر على رأي او تهمة عابرة فما اكثرها وسأحاول ذكرها جميعا او الاشارة اليها .

يقول نعيمه عن ماري انها « وجدته (الهاء تعود لجبران) كثير الشكوك شديد الحرص على شخصيته ، يخشى عليها ان تمس بأقل ملاحظة او اشارة ، حتى انه ليستعدي صديقا وفيا من اجل كلمة بريئة ... ويستصدق

عدوا لدودا اذا سمع منه او عن لسانه كلمة اطراء ، وبقدر ما يستمرر النقد من اي نوع كان يستعذب المديح مهما كان مصدره ويفعل المستحيل للحصول عليه » [1] .

ويقول نعيمه عن جبران : « هذا الناقم على الناس والمتقزز من صغارتهم واستعبادهم لتقاليدهم كان اشدهم تعلقا بتلك التقاليد اللهم الا اذا ناله منها مجد وفخر وعظمة. وما نقم على الناس الا لانهم لم يمجدوه على قدر ما كان يحسب نفسه اهلا لتمجيدهم . وما فاضت مرارته على ترهاتهم الا لانهم لم يترعوا قلبه بحلاوة ترهاتهم [2] » .

ويتحدث نعيمه عن لقائه لاول مرة مع جبران عام ١٩١٦ وعن دعوته له ولنسيب عريضة وعبد المسيح حداد لتمضية السهرة في محترفه الذي كان معروفا عند المقربين منه باسم (الصومعة) فيقول متهما اياه بالمجاملة والادعاء : « وعندما جئنا على ذكر الادب الروسي ادهشني جبران بقوله انه من المعجبين به . لا سيما بتورغنيف وتولستوي ودوستويفسكي . وبالأخير بنوع خاص ، مع ان روحه تناقض روح نيتشه على خط مستقيم ، غير اني اشتممت من كلامه الاجمالي انه قرأ عنهم ولم يقرأهم . ولعله احب

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٢١
٢ ـ م.ن. ص ١٤٨

ان يجاملني فيجاريني في اعجابي بدوستويفسكي عندما رآني اضعه فوق كل كتاب الزمان الأخير بدون استثناء » [1] .

ويورد نعيمه مقال جبران (المليك السجين) الذي ورد فيه : « انظر ايها السلطان المهيب الى تلـك القصور والمعاهد فهي اوكار ضيقة يسكنها الانسان ... وانظر ايها المليك السجين الى تلك الشوارع ... فهي اودية خطـرة المعابر بل هي غابة الاهوال تسكنها حيوانات داجنة المظاهر ... اما ملوكها فليست اسدا نظيرك بل هم مخاليق عجيبة لهم مناقد النسور » [2] . ويعلق نعيمه على المقال يريد ان يظهر التناقض بين قول جبران وفعله بقوله : « لكن قائل هذا القول كان يشتغل النهار والليل ويشتغل كالمحموم بقلمه وريشته ولسانه ليسترعي انتباه اولئك (المخاليق العجيبة) ولتسمع تلك الاودية (الخطرة المعابر) وقع قدميه اذا مشى فيها ، وتنفتح في وجهه ابواب تلك الاوكار اذا ما طرقها . وكان لا يتوصل الى معرفة رجل او امرأة او عائلة علـى اسمائهم شيء من اللمعان الادبي او الفني او المـادي او السياسي او الاجتماعي الا اخبرني عن ذلك بلسان من لا يكترث لمثل ذلك اللمعان . ولكن بقلب من يكبر في عين

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٥٤

٢ ـ يراجع مقال المليك السجين في العواصف المجموعة العربيـة ص ٣٦٥

نفسه اذا ما تقرب من الذين يراهم العالم كبارا • وكأنه كان يخشى ان اعيب عليه التناقض بين نفوره من تقاليد الناس ومفاخرته بها • فكان يطرح على كل علاقاته ستارا من السحر وجلبابا من الفن والادب • كأن يقول لي مثلا : « البارحة كنت مدعوا الى الشاي عند مسز كورين روبنسن » ثم يضيف بفخر ظاهر : « وهي اخت تيودور روزفلت ويعقب ذلك بقوله « وهي شاعرة تعجبك يا ميشا » او ان يخبرني عن سهرة عند مستر فلان « وهو مدير البنك الفلاني » و « له ذوق في التصوير جميل » او عن زيارة لبيت فلان « وهو من اخلص اصدقاء رئيس الجمهورية وهو وزوجته من اقدم العائلات الاميركية ثروة وثقافة » [1] •

وعندما يتحدث نعيمه عن رسم الحرية لجبران عن ذلك الفتى الذي نشر جناحيه يريد ان يطير ولكن حبال الرغائب الأرضية المحبوكة حول رجليه تمنعه عن الطيران يقول نعيمه كأن جبران رسم نفسه بذلك الرسم وكأني به وصف نفسه عندما قال :

والحر في الأرض يبني من منازعه
سجنا له وهو لا يدري فيؤتسر [2] •

---

١ – (جبران خليل جبران) ص ١٥٦

٢ (جبران خليل جبران) ص ١٧٠

ويتحدث نعيمه عن قصيدة لجبران بالانكليزية نشرت في المجلة الانكليزية « الفنون السبعة » فيخاطب جبران اذ يطلعه عليها من مركز الهيمنة قائلا : « يا شيطان • لماذا خبأت عني هذه الجواهر حتى الآن » [1] •

ويخبرنا نعيمه ان جمعية الشعر النيويوركية اتاحت لجبران ان يلقي في اجتماع من اجتماعاتها قصيدته (الليل والمجنون) • وانه عاد من الاجتماع ومراجله تغلي ومرارته تكاد تنفجر لان الحضور استقبلوه واستقبلوها ببرودة في قلبها تصغير ازدراء وهمس سخرية. فكتب قصيدته الانكليزية (الانكسار) التي اعلن فيها انه يأبى الجلوس على عروش الناس «لان الجلوس على عروش الناس استعباد الناس» • ويسوق نعيمه تعليقا على هذه القصيدة يلصق فيه بجبران تهمة التكبر على الناس التي كثيرا ما يرددها نعيمه اذ يقول : « هي حقنة من المورفين سكن بها جبران اوجاع كبريائه الجريح وانين قلبه المتعطش الى « المجد والعظمة » ولجاجة فكره الثائر على الناس لغير ما سبب الا لأنهم على صورته ومثاله • ولو انه كان يعتقد ما يقول ويفعل ما يعتقد لاعتزل

١ ــ (جبران خليل جبران) ص ١٥٨ ومثل هذه المخاطبة من مركز الهيمنة تظهر في مطلع رسالة وجهها الى جبران في ٩ اب سنة ١٢٢ • يبدأها بعبارة : عزيزي جبرون ويقول معلقا على العبارة في الهامش (كنت ادعوه احيانا (جبرون) واحيانا (جبور) •

الناس كل الاعتزال . ولكف عن مخاصبتهم ان بالكلام او بالرسوم » [1] .

وبعد ان يقتطف نعيمه من مقال جبران (الكلام وصوائف المتكلمين) مقطعا يقول فيه جبران « اراني كالطبيب المعتل او كمجرم يقف واعظا بين المجرمين » يعلق نعيمه على قول جبران هذا بما يلي : « ما بال الطبيب لا يطبب نفسه ؟ ... ان جبران وان شبه نفسه — على الورق — بمجرم يعظ مجرمين وبعليل يطبب معتلين لم يكن في الواقع يرى في نفسه علة او اثما . بل كان يرى كل العلة وكل الاثم في الناس » [2] .

ويصور نعيمه جبران بانه شخصيتان متناقضتان فجبران الصومعة مثالي بينما جبران العالم « يشتهي امجاد الناس وغناهم وفضائلهم وملذاتهم فكان يأتيهم حاملا قصعة المستعطي » [3] .

ويقول نعيمه ان « الجنية الساحرة » [4] امرأة اثارت شهوات جبران ثم تملكتها حتى كادت تسلخه عن نفسه . ويسوق بعضا من هذا المقال موصلا فقرات ذات

---

١ — جبران خليل جبران ، ص ١٥٩ .

٢ — م . ن . ص ١٦٠

٣ — م . ن . ص ١٦٠

٤ — وهو عنوان مقال لجبران في كتاب العواصف المجموعة العربية ص ٣٧٧ .

دلالة [1] ليدلل على ان جبران « اصبح يرى الحياة امرأة عاهرة ولكنها جميلة » [2] . وكاد ينسى كل ما كان يقدسه في اول شبابه لا سيما الحب ــ حب المرأة ــ فقد صار يرضى بالمرأة شريكة له في فراشه ولا يرضاها شريكة له في قلبه وفكره وروحه . بل صار اذا ما احس بحبها يستبد في جوانب قلبه ينتهر قلبه وينتهرها . لانه يربأ بقلبه ان يستسلم الحب . وبارادته ان تخضع لارادة امرأة » [3] .

وفي دراسة نعيمه لمواكب جبران نرى نعيمه يقوم بوظيفة استاذ لجبران في العروض والنحو . يقول نعيمه « وعندما لحظت في احد الابيات خللا فاضحا في الوزن ونبهته اليه عجبت لأنه لم ينتبه اليه من تلقاء نفسه . وعبثا حاولت ان افعله له . فهو لم يكن يعرف التفاعيل وان كان قد درسها في المدرسة . وظل يعيد ذلك البيت ولا يرى فيه عيبا الى ان بدات له الكلمة المقلقلة بكلمة استقام معها الوزن . وحينئذ ادرك الاختلال . مثلما اني نبهته الى بعض هفوات نحوية . منها قوله :

فسارق الزهر مذموم ومحتقر

وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر

---

١ ــ راجع مقال الجنية الساحرة في المجموعة العربية . والجنية الساحرة كما اخبرني نعيمه هي السيدة ماري عيسى الخوري .

٢ ــ اخر كلمة في مقال جبران (قبل الانتحار) من كتابه العواصف .

٣ ــ احرار ، خليل جبران ، ص ١٦١

فلم اتمكن من اقناعه لا بالاعراب ولا بالمنطق »[1] .

ويورد نعيمه بيتي جبران في الحب على هذه الصورة :

... « وقوله (الضمير عائد لجبران) في الحب وكأنه يبكت نفسه فيما يقول :

والحب ان قادت الاجسام موكبه
الى فراش من اللذات ينتحر
والحب في الروح لا في الجسم نعرفه
كالخمر للوحي لا للسكر تنعصر» .

ويقول نعيمه في مكان آخر : « الويل كل الويل لمن كان خياله انشط من ارادته . فهو كالطيارة التي يطلقها الاولاد في الهواء مشدودة بخيط في ايديهم . فلا تتذوق حرية الفضاء حتى يجذبها الخيط الى عبودية الأرض . ومن كان كذلك لن يتحرر من ربقة الأرض ولا بالموت . تلك

---

١ – جبران خليل جبران ، ص ١٦٤ . يرتكب نعيمه اخطاء عروضية ففي القصيدة التي عنوانها الى
التي عنوانها الى M.D.B. ورد هذا البيت :

فهاتي يدا . وهاك يدي
على رغد على نكد

وغير خاف ان الياء اذا ما لفظت في كلمة فهاتي كسر البيت . (همس الجفون قصيدة M.D.B.)

كانت حال جبران مع خياله وارادته » [١] .

ويورد نعيمه قول جبران « عندما طرحني الله حصاة في بحرة الحياة العجيبة احدثت على سطحها دوائر لا تحصى . ولكنني من بعد ان بلغت القاع اصبحت هادئا » [٢] . ويعلق عليه قائلا : « لقد كان على جبران وقد بلغ القاع ان يهدأ . لكنه لم يهدأ هناك ولم يستكن . لانه لم يبلغ القاع الا بخياله . فكان كموسى الذي اشرف على ارض الميعاد فوطئها بعينه لا بقدميه » [٣] .

ويعود نعيمه الى اظهار جبران بسظهر الذي يتيه زهوا وتباهيا تحت ستار من التواضع الكاذب فيقول : « قال لي مرة بفخر كلي ، متظاهرا بعدم الاكتراث الكلي ، ان ملكة رومانيا السابقة — ماري — كتبت الى احدى صديقاتها في نيويورك التي كانت قد اهدت اليها نسخة من (النبي) تقول انها طالعت الكتاب بلذة فائقة ، وتكلف صديقتها اهـــداء سلامها الى المؤلف » [٤] .

وبعد سرد هذه النقاط الصغيرة التي نعتبرها غمزات

---

١ — (جبران خليل جبران) ص ٢٠٦ — ٢٠٧

٢ — المجموعة الانكليزية — رمل وزبد — ص ١٥٣ .

٣ — (جبران خليل جبران) ص ٢٢٧

٤ — م.ن.ص ٢٤٩ .

من قناة جبران ننتقل الى عرض النقاط الرئيسية التي اثارت الجدل العنيف بادئين بعلاقة جبران بالمرأة (الملاك المزيف وميثلين وماري هاسكل والفتاة الغريبة) ، ومنتقلين بعدها الى جبران النبأ الكاذب ، وجبران المقلد لنيتشه في النبي والمناقض لنفسه •

علاقة جبران غير المشرفة بالمرأة

من اشد النقاط التي اثير حولها الجدل في كتاب نعيمه عن جبران كانت علاقة جبران بالمرأة التي تحدث عنها نعيمه في كتابه حديثا أثار الكثيرين واقامهم ولم يقعدهم حتى الآن • فجبران كما اورد نعيمه في علاقته مع كل النساء اللواتي دخلن في حياته ، لم يكن ذلك الانسان المتسامي الذي عرفناه في كتاباته عن المرأة ورسومه لها • ولم تكن المرأة لديه في معترك الحياة والواقع تقترب في كثير او قليل من المرأة في كتاباته ورسومه•• هكذا هو جبران نعيمه، يختلف تماما عن جبران الذي يتكلم ويعبر عن نفسه بالكلمات او بالخطوط والالوان • فجبران مع المرأة الاولى في حياته يقطف الثمرة المحرمة ويغرق في لجة من العواطف الجنسية يترجمها الى افعال جنسية محمومة كأن ليس هناك حق لزوج يراعيه او حرمة لزوجة يصونها •

وجبران مع تلك المدرّسة الفرنسية ميشلين لا يقف في سبيل ارواء لذته شيء ، فليس يهمه ان تتحول العذراء الى امرأة ملطخة بالعار وان تحمل منه وان تجهض مع ما في الاجهاض المحرم آنذاك من الخطر •• فهو طالب لذة لا ترتب عليه علاقته بالمرأة اية مسؤولية •

اما جبران في علاقته مع ماري هاسكل فيبدو ذلك الرجل المخادع الذي يبيعها الهوى بيعا ليبتز منها نفقات تعليمه وعيشه فهو لا يحبها ولكنه يقيم معها علاقات جنسية •

وحتى عندما يريد نعيمه ان يقول ان جبران افلع عن شهوانيته وتحرر من غرائزه يحدثنا عن تلك الفتاة الغريبة التي زارته في اواخر حياته لترى فيه الانسان الامثل فيحاول جبران غوايتها ، فتكفر بكل شيء وتندب ايمانا جميلا طار من قلبها •

ولعلنا اذا ذكرنا علاقة جبران مع كل هذه النسوة بشيء قليل من التفصيل استطعنا ان نكون رأيا واضحا عن هذه النقطة التي هي علاقة جبران بالمرأة ــ لنناقشها فيما بعد في الفصل الثالث حين تقييمنا لكتاب نعيمه او حين حكمنا على نعيمه أو له في كتابه (جبران خليل جبران) •

الملاك المزيف جعلناه عنوانا لقصة المرأة الاولى في حياة جبران على ما يروي نعيمه ، وكان نعيمه قد اطلق على هذه المرأة اسم الملاك الحارس ووضعه بين هلالين تدليلا على انها كانت الملاك المزيف بالنسبة الى جبران ولم تكن الملاك الحارس • ووردت قصة هذه المرأة وعلاقة جبران بها في الفصل الذي اورده نعيمه تحت عنوان : (خيالات بوسطن) وأثار هذا الفصل ويثير الكثير من الاستغراب اذ فيه بصورة خاصة تتجلى عناصر الرواية وتختفي تماما عناصر السيرة . الأمر الذي أثار الكثيرين ضد نعيمه . وهو الفصل الذي لا يوجد دليل واحد يدل على المرأة التي هي بطلته• فتلك المرأة التي يعصف بها الجنس عصفا وتضطرم فيها ثوراته اللاهبة اضطراما والتي جعلت جبران ذا الاربعة عشر عاما (يودع صباه وعفة الصبا وطهارته) هذه المرأة لا دليل ادبي يدل عليها ولا دليل فني كما دلت الدلائل الفنية والادبية على ميشلين وماري • ولكن لماذا نستبق حوادث القصة ونأخذ بمناقشتها قبل روايتها ؟ فلنترك نعيمه يروي لنا مقاطع منها نقتطفها اختصارا [1] •

بعد ان يروي لنا نعيمه كيف حدث التعارف بين جبران

---

١ ــ ان قصة جبران مع هذه السيدة تستغرق من كتاب نعيمه عن جبران ما يزيد على ثلاث عشرة صفحة .

وبين تلك المرأة في مرسم احد المصورين، وكيف يقدم المصور جبران الى تلك السيدة، وكيف خجل جبران ونكس عينيه الى الأرض لكي لا يرى صدر السيدة المكشوف حتى الثديين وذراعيها العاريتين حتى الكتفين ، وكيف مررت السيدة اصابعها في شعره ، وكيف قبلته على جبينه ، وكيف طلبت رأيه في صورتها التي كان المصور يصورها ـ يأخذ نعيمه بوصف، شعور جبران الذي « اخذ ينقل عينيه من السيدة الى الصورة وهو لا يكاد يبصر لا تلك ولا هذه ، لانه ظل حانقا على نفسه كيف انقاد للسيدة فتركها تداعب شعره وتقبله على جبينه • ولو انه كان الرجل الذي يعتقد لما تجرأت السيدة ان تفعل ما فعلت ••• وها هي تسأله رأيه في صورتها فهل يجيبها ام لا ؟ الافضل الا يجيبها لتعلم انه ليس طوع بنانها وانه ـ كرجل ـ له الحق ان يتمرد وكفنان ـ ان يحتفظ برأيه لنفسه • ولكن اليس من الأنسب ان يعطيها جوابا يدهشها ويدهش المصور فيبرهن لهما انه ليس الصبي الذي يعتقدان ••• غير انه لم يهتد الى جواب يرضيه لأنه كان يفكر بالسيدة التي امامه • ترى كم عمرها ؟ خمس وعشرون ؟ اكثر ثلاثون ؟ ••• لكنها فتانة وما اجمل الالفة الفنية بين ثوبها المخملي الارجواني وبشرتها المشربة بالدم والماائلة الى السمرة [1] •

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ٤٣

ولكن جبران لم يستطع الا ان يجيب رغم ارادته عندما تذكره السيدة انها في انتظار جوابه فيقول « سأقول رأيي عندما تكتمل الصورة »[1] . فتقول السيدة « حسن جدا ستكون الصورة عندي غدا . فهل تكرمت عليّ بزيارة ؟ تعال من كل بد . سأنتظرك عند الساعة الرابعة بعد الظهر . واليك عنواني »[2] .

وبعد ان يتحدث نعيمه عن البلبلة في صفوف عائلة جبران عندما اخبرهم بانه التقى بسيدة دعته الى منزلها وبعد ان يذكر ان ام جبران خافت العاقبة وقالت بصورة مخنوق «وقانا الله ساعة التجربة» ــ يصف استقبال السيدة لجبران استقبالا يوحي بما تبيت من أمر . فهي تبتدره قائلة : « اهلا وسهلا بصديقي اللبناني . لقد جئت ــ ولا بأس . ولو كنت اعرف رقم تلفونك لتلفنت لك ان ترجىء زيارتك الى الغد . لانني نهضت اليوم بصداع اليم في رأسي . فلزمت فراشي طول النهار . لذاك تراني انا في قميص النوم . فاعذرني . واعذرني اذا ما استقبلتك في مخدعي ، لأني اكون اكثر ارتياحا اذا اتكأت في فراشي ، وانت لا شك تريد لي الراحة . ومن ثم فالصورة ــ صورتي ــ معلقة على جدار مخدعي . فتعال معي »[3] .

١و٢ ــ جبران خليل جبران ص ٤٣

٣ ــ م.ن. ص ٤٦

ويأخذ نعيمه بوصف الحوار الذي انتهى الى السرير بصورة فيها كل عناصر الرواية الفنية وفيها كل عناصر الاثارة التي تتصاعد شيئا فشيئا الى ان تصل الى قمتها • فبعد ان تقود صاحبة البيت زائرها الى مخدعها وتجلسه في كرسي كبير من الحرير يقول جبران : « قد يكون من الأفضل يا سيدتي لو تركتك الآن وعدت في الغد » [1] • فتجيبه السيدة « لا لا • انت هنا الآن ولعل صداعي يذهب بوجودك معي • فقد بدأ يخف • وبيننا حديث طويل • فانت شرقي وانا احب الشرق وما فيه من سحر أبدي ••• وها انا اكراما لقدومك سأحرق لك بخورا شرقيا » [2] •

وبعد ان اشعلت مسحوقا من خشب الصندل في مجمرة من الفضة ، فتصاعد دخانه الأبيض العطري وامتزج بما في الغرفة من عطور وثبت الى سريرها واتكأت بمرفقها على وسادتها ساندة رأسها بيدها ، وقد استرسل شعرها الاسود اللامع ، بعضه على صدرها والبعض على زندها العارية • واشرق في عينيها السوداوين نور لم يره زائرها من قبل ــ وعندما تسأله عن رأية في الصورة يجيبها جبران : « تمنيت لو قام ليوناردو من قبره ليصورك • اذن لما اعطاك عيني نعجة قريرة ، بل عيني نسر جريح • ولما اطبق

---

١ ــ (جبران خليل جبران) ص ٤٧ .

٢ ــ م.ن. ص ٤٧

شفتيك على بسمة الوردة للشمس وفي قلبها قطرة من اجفان الفجر بل على بسمة الوردة وقد طارت من قلبها لؤلؤة الصباح . اني لأرى في وجهك حزنا ليس في الصورة . وقناعا من الغبطة الكاذبة يبدو في الصورة حقيقة راهنة »[1] فتجيبه بمكر راسمة سورة مشوهة لزوجها لتستدر عطفه وتسيطر على مشاعره البريئة : « انك لشاعر وفنان وساحر في وقت واحد . فمن اطلعك على اسرار حياتي . ومن انبأك ان اهلي زوجوني من تاجر جلود طمعا بماله فأفلس بعد زواجنا بشهرين وانه يزيدني سنا بأكثر من عشرين سنة. وانه لا يعرف من العالم الا جلود البقر والمعزى والغنم . واني قد قضيت في بيته عشر سنوات هي عشرة دهور من الألم والمرارة ؟ هنيئا لمن يقع في هذه الدنيا على قلب يفهم قلبه ... واراك بالرغم من سنيك صاحب قلب فهيم ... اقترب مني قليلا ؛ اقترب ودعني اضع يدي في يدك لعلني أكتسب من شعرك وفنك وسحرك ما ينسيني الذي انا فيه »[2].

« أو يجور زوجك عليك كثيرا ؟ »[3] .

« يعاملني كما لو كنت حظية اشتراها بماله وانا في الواقع حظية وقد ابتاعني ... ولكن دعنا منه وهات حدثني

---

١ – جبران خليل جبران ص ٤٧

٢و٣ – م.ن. ص ٤٨

« واين زوجك الآن » [1] .

« هو الآن في مكتبه وعنده الليلة امور وجلسات هامة ولن يتخلص منها قبل نصف الليل . حاولت كثيرا أن البسه جلد انسان بدلا من جلد ثور وأن آلين من طباعه الشرسة ، فلم ينلني من ذلك سوى الوجع المبرح . وجع الجسم ووجع الروح . وما صداعي اليوم الا نتيجة معركة جرت بيني وبينه في هذا الصباح » [2] .

« وهل خف صداعك الآن » [3] .

«لقد كدت تزيله بما لقيته فيك من جميل الحس وطيب الادراك ، ولعلك لو وضعت يدك على جبهتي لزال ما تبقى في رأسي من وجع . اقترب مني قليلا اقترب » [4] .

« وارتفع صدر السيدة بتنهدة عميقة ولمعت في عينيها دمعتان وللحال اجابتهما عينا جليسها بالمثل . وكان سكوت» . واخذت تغمغم « ما احن قلبك واجمل روحك ــ وما اضعف النساء ، اني لأشعر بثقل على صدري وضغط في حنجرتي. ودوخة في رأسي . اقترب مني قليلا ... اقترب ... » [5] .

---

١ و ٢ و ٣ ــ (جبران خليل جبران) ص ٤٨
٤ و ٥ ــ جبران خليل جبران ص ٤٨

و « ودع جبران (ملاكه الحارس) نحو الساعة الحادية عشرة من الليل ومعها ودع صباه وعفة الصبا وطهارته . واحس عند خروجه من ذلك البيت انه خارج من اتون . وكأن كل قطرة من دمه قد تحولت الى جمرة ملتهبة ... ومر عام مزدحم بالزيارات السرية الى البيت السري . وباللذة والالم . وظن جبران ـ عندما قطف الثمرة المحرمة ـ ان يأكل حلالها دون حرامها وان يتذوق حلاوتها دون مرارتها غير انه عندما شعر بالمرارة واحب ان يطرح الثمرة من يده وجد بذورها في كل نقطة من دمه ووجد انه اذا طرحها سيطرح معها قلبه. فازداد تعلقا بها واعتقادا بأن المرارة ليست فيها بل في الذين حرموها »[1] .

ويحدثنا نعيمه عن مقابلة بين جبران وزوج السيدة بالصدفة نعرف منها ان زوج تلك السيدة ليس كما صورته زوجته لجبران بل هو رجل طويل القامة ممتلئها ، لطيف المعاني لا يزيد عمره عن الخمسة والثلاثين . وبعد ذلك يحدثنا عن خلاف عنيف ينشأ بين جبران وملاكه المزيف فيصرخ فيها جبران قائلا : « ان كنت لا تزالين تحسبينني صبيا فبقدرتي ان اريك كيف تستغني الرجال عن النساء» . ولكن هذا الخلاف العنيف ينتهي الى الصلح والرضى عندما تجيبه خاضعة مستغفرة :

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ٤٩ .

« اما انا فأريك كيف لا تستغني النساء عن الرجال » .
ومد الملاك الحارس جناحيه وغمر بهما (محروسه) وكان سكوت تلته دموع وكان عتاب تلاه انقلاب » [1] . وبعد ذاك العتاب وذاك الانقلاب يخبرنا نعيمه ان جبران ترك ملاكه المزيف وترك اميركا وعاد الى لبنان يدرس لغة اجداده في معهد الحكمة في بيروت . ومنذ ذلك الحين لم ير جبران تلك المرآة التي كانت له رائدة في عالم الحب والجنس الا صدفة في الشارع بعد ان عاد من لبنان ، حيته فلم يرد تحيتها وظل سائرا في طريقه مسدلا الستار على (حبه الأول) .

---

١ - (جبران خليل جبران) ص ٥٤ .

ميشلين

في هذه القصة التي هي « بيت القصيد من حياة جبران الخصوصية » يتشوه وجه جبران اشد التشويه . فيبدو جبران المبشر بالمحبة والرحمة قاسيا لا يرحم. فهو لا يتورع عن الحض على القتل . كما يبدو جبران الذي يمجد الفطرة والصدق والبساطة في ابطاله القرويين مخادعا يستدر جيب احدى النساء بينما يستدر قلب الأخرى ولحمها ودمها [1] .

يجعل نعيمه بداية معرفة جبران بميشلين زيارة يقوم بها جبران الى مدرسة « مس هاسكل » للبنات ببوسطن التي كانت ميشلين مدرسة فيها . فيؤخذ جبران بجمال ميشلين التي « كأنها الراديوم تحرق ولا تحترق » والتي « في شعرها الاسود لمعان يأسر العين ويكهرب اليدين ... وفي عينيها العسليتين كحل من النور ... وفي بشرة وجهها الصافية حمرة الشقيق ... وفي ابتسامتها ضعة الطفل وطهارته. وفي ضحكتها كركرة الجدول النقي الطروب» [2]. ولقد فاز جبران في تلك الزيارة بمركز الحبيب في قلب

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ٩٧

٢ ـ م.ن. ص ٨٤

ميشلين الجميلة وتركت شفتا ميشلين على شفتيه حرارة الجسرة .

وبعد ذلك يقدم لنا نعيمه حوارا بين جبران وميشلين غاية ميشلين منه ان يتزوجها جبران زواجا شرعيا وغاية جبران منه الهروب من الزواج الشرعي والابقاء على العلاقة الحرة بينهما . فبعد ان يفلسف جبران حبه لميشلين ويعطيه صورة ادبية شفافة يخفي وراءها شهوته وتحلله من كل روابط المسؤولية تسأله ميشلين متى يقترن بها امام الناس . وهنا يثور جبران على الناس ناعتا اياهم بالدجاج وقائلا ان ميشلين منهم ابنة الديدان والاكنان ، ويشبه نفسه بالنسر الذي لا يرضى غير الفضاء ميدانا ولا يشرف على الحياة الا من القمم العالية ويضيف قائلا بتعال وغرور « فسبحان من جمع بين النسر والدجاجة » . وتدافع ميشلين عن الناس وتظهر جبران بدفاعها عاقا لا يحفظ الجميل ومتعاليا ينقصه التواضع . الى ان تقول ميشلين مظهرة جبران بمظهر الوحش البشري الذي لا يتورع عن القتل « واقول لك انني اخشى شاهدا ما يزال جنينا ان يفضح امرنا فتجيبني الناس ثم تأمرني ان اكتم السر عن كل الناس وبالأخص عن رئيسة المدرسة ، وان اقضي على الشاهد قبل ان يحسن الشهادة »[1] . فيلجأ جبران الى المراوغة ويأخذ باسترضائها

---

١ ـ هذه الجملة موجودة (الطبعة الاولى والثانية فقط من كتاب جبران لنعيمه .

ويعطيها وعدا بأنه سيقترن بها امام الناس حالما يتيسر الأمر ويكرر امره بقتل ابنه قائلا « اما المسألة الاخرى فتدبريها بحكمتك قبل فوات الأوان » [١] .

وينتهي الى التكلم عن فلسفة الحياة والتقمص ورواية يريد وضعها عن الحب الخالد هي « رماد الأجيال والنار الخالدة » [٢] .

وبعد الحوار تأخذ علاقة جبران بميشلين شكل المناجاة فنرى جبران في باريس يفض رسالة من ماري تخبره فيها عن ميشلين انها « قد تغيرت كثيرا بعد سفره فنحل جسمها وفارقت الابتسامة وجهها واكمد النور في عينيها . وانها لا تكاد تكلم احدا الا عند الضرورة » [٣] . فيصيح جبران « ميشلين ميشلين ميشلين » ويأخذ بمناجاتها مناجاة العاشق المعذب ويظهر في مناجاته مخادعا وصوليا نفعيا عندما يأخذ بتوبيخ نفسه وتقريعها قائلا « لقد جنيت عليك وعلى نفسي يا ميشلين عندما اشركت في حياتي امرأة سواك . فرضيت ان استدر جيبها وعقلها حين انا استدر قلبك ولحمك ودمك. ولقد كذبت عليك عندما سألتني عن المرأة التي امدتني بالمال

---

١ ـ هذه الجملة موجودة فقط (الطبعة الاولى والثانية فقط من كتاب جبران لنعيمه .

٢ ـ جبران خليل جبران (٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩) .

٣ ـ م.ن. ص ٩٦ .

لأدرس في باريس فأجبتك ان ليس هنالك من امرأة ... »
وينهي مناجاته هاتفا : « اليّ يا ميشلين اليّ يا روح روحي ويا قلب قلبي . تعالي وقولي انك صفحت عن كل آثامي . وانا سأكفر عن كل شيء . تعالي يا ميشلين والا ــ فانا مقتلعك من قلبي حتى وان اقتلعت قلبي معك » [1] .

وفي هذه المناجاة يثور جبران على حبه كان حبه نوع من الاثم والعبودية وكأنه ثسرة نفسه السوداء وضميره المظلم « اذن هو ضميرك الذي يعذبك اليوم يا جبران . وهذه الاشباح السود ليست الا من كهوفه المظلمة ان انت لم تقض عليها اليوم قضت عليك غداء فابدأ الآن في هذه اللحظة وانزع ميشلين من قلبك » [2] .

ويختم نعيمه قصة جبران وميشلين في باريس اذ زارت ميشلين جبران فيها ودخلت غرفته على غير انتظار فصاح جبران بأعلى صوته : « ميشلين » وجذب السيدة الواقفة بالباب الى صدره وضمها اليه وغيب وجهه في ثنايا ثوبها فوق نهديها ، فطوقت عنقه بذراعيها . والقت رأسها على كتفه وبقيا كذلك دقائق وهو لا يسمع الا دقات قلبها وتمتمة شفتيها « خليل ، خليل » ويهتف جبران قائلا : « لقد كنت

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ٩٧
٢ ـ م.ن. ص ٩٨

كلما مرت السعادة ببابي قلت ـ هذا خيالها ... اما اليوم ـ اليوم اسمعها ترفرف وتزقزق في قلبي »[1] .

ويعود الحوار المر بين الحبيبين عندما يطلب منها ان تجلب امتعتها من النزل وتقاسمه غرفته وفراشه ، فتطالبه بان تكون زوجة لا خليلة ، فيرفض جبران مدعيا ان رجل الفن لا يرضخ لشرائع الناس وبأن اقاربه الـذين ينفقون عليه يقطعون المدد عنه اذا هو تزوج . وينتهي الحوار وتنتهي قصة هذا الحب بانتهائه نهاية حزينة عندما تتيقن ميشلين ان جبران يناقض نفسه وانه يخترع الحجج ليبقي علاقته معها بعيدة عن الشرعية قائمة على الشهوة ورغبات الجنس . فلقد « وثبت ميشلين الى الباب شاهقة بدموعها وانحدرت عن الدرج بسرعة لم تر معها الدرجات ولا عرفت اين تقع قدمها » تاركة جبران مرتسيا على فراشه يرويه بدموعه وصوت في داخله يقول: «هي النهاية، هي النهاية. لقد نحرت حبك على مذبح شهوتك يا جبران ... ولانك تخجل من كل ما فيك من ضعف بشري تعكف عليه فتستره بحلة من الكلام الجميل والالوان البهجة . والكلام الجميل لا يرفع الشناعة الى مستوى الجمال . والالوان البهجة لا تصبغ الضعف قوة . وقولك ان الحب هو الله لا يجعل الشهوة

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ١٠٩

الجسدية الها ولا اللذة الحيوانية ناموس الحياة » [1] .
وظن جبران ان ميشلين سترجع ولكنها (لم ترجع) . وبهذه الكلمة ينهي نعيمه قصة هذا الحب الذي هو (بيت القصيد من حياة جبران الخصوصية) [2] .

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ١١٣
٢ ـ رسالة المنبر الى الشرق العربي ص ١٦٧

وفي سرد نعيمه لهذه العلاقة المباركة تقوم بين مؤمنة بالفن شغوفة بالادب تهب مالها ونفسها في سبيل سقاية نبتة من نبتاته او حراسة زهرة من زهراته ، وجبران الذي كان بأمس الحاجة الى قلب عطوف يفهم قلبه والى يد مـــلاك حارس تأخذ بيده ـ يتلطخ وجه جبران بلطخات عديدة.. وان سبب ذلك اشد انواع الاستغراب والتساؤل. فماري على درجة قصوى من البشاعة ومع ذلك فجبران يقاسمها الفراش. وهو لا يحب سوى ميشلين ويتمنى « او كانت روح ماري في جسم ميشلين » [1] .

لنقرأ ملخصا للقصة لنرى ذلك :

رأى جبران في المعرض الاول الذي اقامه لصوره في بوسطن امرأة تقف امام الصور وقفات طويلة متأملة تدرسها درس من يرغب في التوصل الى اسرارها . وذكـــر جبران آنذاك اخته مريانا التي تعيله وابرتها وخيطها فتقدم مـــن السيدة واخذ يشرح لها معاني صوره وطريقته التي اعتمدها اساسا لفنه . وبعد ان عرفها بنفسه وبعد ان قدمت لـــه

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ٩٣

نفسها باسم ماري هاسكل رئيسة مدرسة « مس هاسكل » للبنات في بوسطن ـ سألته ماري عن سبب اكثاره من رموز الالم والموت في صوره فاجابها قائلا : « لان الموت والالم كانا نصيبي الاكبر من الحياة حتى اليوم» ، وحدثها عن فقد اخيه واخته وامه ، وانحدرت دمعة من عينيه اجابتها دمعة في قلب ماري، وهكذا نشأ اساس قوي لعلاقة قوية طويلة . وذات يوم تعرض ماري على جبران ان يذهب الى باريس لمتابعة دروسه الفنية وتتكفل بدفع اكلاف سفره وبخمسة وسبعين دولارا تقدمها له كل شهر ، ويرضى جبران ويسافر الى باريس على نفقة ماري هاسكل بعد ان فاضت دموعه شكرا وامتنانا ليدها وقلبها النبيل .

واثناء عودته من باريس كان جبران يقف عند مقدمة الباخرة التي تمخر به المحيط ففكر في المستقبل الغامض الذي ينتظره ، وفكر بصعوبات المعيشة وبشقاء مريانا التي كرست نفسها له تعمل النهار والليل وفي يديها ابرتها وخيطها لتؤمن ضروريات العيش من اجلها واجله . وفكر بأن الخمسة والسبعين دولارا التي كان يتناولها من ماري كانت تكفيه وانها الآن ستنقطع لان مدة الدراسة قد انتهت وكأنه قد اضاع نفسه في غمرة صراع لا يعرف المخرج منه الا أن هناك هدفا يتجه اليه هو التحرر من الفاقة في كنف ماري وتساءل اين الملجأ ؟ فكان الجواب : ماري . فمال ماري

هو الذي يجذب جبران للزواج منها لا حبه لها • وكأن الحب الذي جعله جبران محورا ومنطلقا وشريعة واساسا وقاعدة لكل خير وصلاح وجمال لم يعد له وجود لديه • اسمع نعيمه يخبرك عن تفكير جبران بالزواج عندما يدع جبران يقول لنفسه « هناك ماري وهي تحبه وتقدر مواهبه ، وتفهم اشواقه ومطامحه ولا تحاسبه بضعفه ، ولا تدينه باثمه • هي امرأة وكأنها ليست أمرأة ، فلا أثر في روحها لغيرة النساء ولا في قلبها لشهواتهن ••• هو يحبها لكن بغير الحب الذي احب به ميشلين • يا ليته لم يعرف ميشلين ولا غيرها من النساء قبل ان عرف ماري ، اذن لاكتفى بحبها الطاهر ، ولبادلها حبا منزها عن عواصف اللحم والدم • اوليس باستطاعته ان يفعل ذلك الآن ، فيتفرغ بكليته الى التصوير والكتابة ، تحت جناح ماري الدافىء وبرعاية فكرها النير وقلبها الحنون ؟ علام لا ، وهو بحاجة الى من يؤنس وحدته ، ويخفف من وحشته ويرفع عن صدر خياله كابوس الحاجة ، ويعتقه من الاهتمام بصغائر المعيشة ؟ وماري حريصة كل الحرص فيما يتعلق بالمعيشة والفلس في يدها اقوى من الريال في يد غيرها • عندها مدرستها ولها منها مورد رزق لا بأس به • فليصل حياته بحياتها — ليتخذها رفيقة شرعية — ولتبق في مدرستها ••• ولينصرف هو

الى فنه » [1] .

ولذلك بعد ان يعود جبران من باريس يزور ماري فتقبله بقبلتها التي دعاها في احد مقالاته (مريمية) . ومنذ ابتدأا يتحدثان وجبران يحمل في فكره وبين شفتيه كلمة تهم بالوثوب فيقول لها جبران تصبري . فجبران يريد ان يعرض الزواج على ماري . ونعيمه قد مهد لذلك تمهيدا يشبه السكون الذي يسبق العاصفة فلقد قارن نعيمه بين نفس جبران ونفس ماري بصوره تظهران فيها وكأنهما النقيضان اللذان لا يلتقيان . فجبران يمثل الشك والحذر ويهوى المديح وماري على النقيض من ذلك . فجبران « كثير الشكوك ، شديد الحرص على شخصيته يخشى عليها ان تمس بأقل ملاحظة او اشارة . حتى انه ليستعدي صديقا وفيا من اجل كلمة بريئة قد يخيل اليه ان فيها مسا بكرامته . ويستصدق عدوا لدودا اذا سمع منه او عن لسانه كلمة اطراء . وبقدر ما يستمرر النقد من اي نوع كان ، يستعذب المديح مهما كان مصدره ويفعل المستحيل للحصول عليه » [2] .

اما ماري فمن طبعها البساطة والصراحة ... لا تداجي

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ١١٧ و ١١٨

٢ ـ م.ن.ص ١٢١

ولا تحابي ولا تسمي الاشياء بغير اسمائها ، لكنها بعد ان خبرت جبران وميله الى التملق والمواربة وتبرمه من الصراحة اذا اشتم فيها ما قد يحسبه محطا بكرامته اصبحت تخشى على علاقاتها معه ان تعبث بها كلمة من كلماتها السليمة النية ... ولم تشأ — بل لم يكن في وسعها — ان تغير طباعها فلا تقدم يدها الى جبران الا مقمطة بالحرير ليستنعم ملمسها ، ولا تخاطبه الا بكلمات مطلوة بالسكر ليستعذب مذاقها »[1] .

واخيرا يعلن جبران رغبته في الزواج فتسأله ماري « ببساطة الطفل » ان كان نظيفا من الامراض الجنسية . فينقلب جبران « من ساروفيم يرنم امام عرش الحب الى ملاك تكبر على الله فطعنه الله في صميم كبريائه » . ان جبران قد القى سؤاله على ماري وفي اعماق اعماقه امنية لا يجرؤ ان يبوح بها لنفسه . وهي ان تصدر من ماري كلمة او تبدو منها حركة يتمكن معها من الانسحاب « بنظام » فيبقى طليقا من زواج يدفعه عليه عقله ويحجم عنه دمه ويكون في الوقت ذاته قد صفى حساباته مع ماري فتركها مدينة له بدلا من ان يكون مدينا لها »[2] . ولكن جواب

---

١ — جبران خليل جبران ص ١٢١

١ — راجع الصفحات ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ من كتاب جبران خليل جبران لنعيمه

ماري « وان اتفق مع الامنية الصامتة في قلبه لم يتفق مع تقديره لنفسه » [1] • فلاذ جبران بالغضب الصامت • وبعد ايام وصلته رسالة من ماري تخاطبه فيها بلهجتها المعتادة وبسجيتها السابقة كأن شيئا لم يكن ، وطي الرسالة حوالة بخمسة وسبعين دولارا •

وسافر جبران الى نيويورك سنة ١٩١٢ وهناك في نيويورك « كانت تشرق وحدة جبران المظلمة بنور هادىء بعيد يشع عليه من قلب ماري المحب • ومن حين الى حين كان يقترب منه ذلك النور فيؤنسه ويهديه عندما كانت ماري تزوره في نيويورك فيجعل بيته بيتها • او عندما كان يزورها في بوسطن فتجعل قلبها الهادىء وكرا لقلبه الشريد » [2] •

« وهكذا ينهي نعيمه قصة تلك العلاقة بين جبران وماري ويختفي ذكر ماري في الفصول التالية من كتابه عن جبران » [3] •

---

١ ــ تراجع الصفحات ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ من كتاب جبران خليل جبران لنعيمه .

٥ ــ م.ن ص ١٦٢

٣ ــ يرد ذكر لها في الملحق عند الحديث عن جثمان جبران .

الفتاة الغريبة

لقد اورد نعيمه في احد فصول كتابه عن جبران تحت عنوان ــ الصلح ــ قصة علاقة جبران بفتاة مجهولة مهد لها بتصوير قلب جبران بانه يشكو الظمأ الى الحق والمعرفة وبأن صاحبه اهمله وحرمه من الغذاء الروحي ، وان ذلك القلب قد اخذ يشكو ويستغيث مخاطبا جبران : « الا رحمة يا جبران . كم شكوت اليك الجوع فاطعمتني ما ليس يشبع . والعطش فسقيتني ما ليس يروي . وها انا ما ازال جائعا الى طعام لا يبلى وعطشا الى شراب لا ينفد » [1] . ودعونا هذه الفتاة بالفتاة الغريبة فلقد تسلم جبران من هذه الفتاة الغريبة رسالة اعجاب وتقدير في اواخر حياته حين لم يعد يفصله عن الموت الا بضعة اشهر وحين كان يعاني من وحدة رهيبة يواجه فيها المرض الذي انشب اظفاره في قلبه المجهد . وآنس جبران في الرسالة « روحا تفوق باخلاصها وجمالها وشدة شغفها بما هو خلف المحسوسات كل ما جاءه من رسائل الاعجاب والتقدير . وكان في الرسالة عنوان الفتاة ورقم تلفونها . فاخذ في الحال التلفون وخاطبها وشكر لها جميل رسالتها . وعندما ابدت رغبة في زيارته رحب بها كل الترحيب فزارته وكانت لم تقرأ من كتبه الا (النبي) . وبلسان يتعثر

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ٢٥٢

بشتى الانفعالات ولكن بروح تفيض حماسه وطهارة ، راحت تصف له تأثير الكتاب في نفسها وكيف انها لاقت فيه اقوى نصير لافكارها واوفى صديق لاشواقها ومعتقداتها . وانصرفت من عنده ثملى بخسر حديثه . وكانها وجدت فيه الكمال الروحي في جسد بشري .

وتلت تلك الزيارة زيارات . وكان جبران قد اجدب قلبه من الحب واخذ يشعر بحاجته الى امرأة تقاسمه حلو الحياة ومرها . فقد كان قبل ان اشتد به المرض يخشى على عزلته من ان تعبث بها امرأة او رجل . وعزلته كانت مبعث الهامه ومهد مواليد فكره وخياله . اما بعد ان ثقلت عليه وطأة الداء فاصبح يخشى العزلة في المرض والمرض في العزلة، وكان اذا ما عرض امام نفسه كل النساء المقربات منه لا يجد بينهن واحدة تطمئن اليها روحه الا ماري هاسكل ... وهي ما تزال كوكبا نيرا في سماء حياته الروحية وماري قد تزوجت منذ سنوات ... والآن جاءت هذه الفتاة الغريبة . ايكون ان الحياة قد بعثت بها اليه لتؤنس وحشته ، وتخفف من اوجاعه، وترافق اشواقه وآلامه؟ايكون انها المرأة (المكتوبة) له في سجلات الأرض الغامضة ؟ كيفما كان الامر ، ها هي شعاع دافيء ومؤنس . وهي صحيحة الجسم ، نشيطته ، وفي قلبها من الاخلاص له والتفاني في سبيله ما يقارب العبادة...
.. ولكن هي الشهوة ــ وما اقواها ، فقد نسي

جبران هذه المرة كذلك بيته الجميل في (المواكب) :

« والحب ان قادت الاجسام موكبه
الى فراش مـــن الاغراض ينتحر »

وكان عذره في ذلك لنفسه وللفتاة : «تلك هي حياتي» لكنه عذر ان كان مقبولا عند جبران ، لم يكن مقبولا عند الفتاة التي كانت روحها مشبعة بروح (النبي) والتي اخذت الندامة تنهش قلبها وتعصر فكرها . فأحست كأن جوهرة ثمينة كانت في يدها وتحولت الى تراب . او كأن الأرض قد خسفت بها . فكتبت بعد ذلك الى جبران تبكته وتبكت نفسها وتندب ايمانا جميلا طار من قلبها . فقد ظنت عندما اهتدت الى صاحب (النبي) انها قد اهتدت الى مثل الرجل الأعلى ، الى الرجل الذي يكفر بجمال روحه وجمال حياته عن كل ما في ارواح الرجال وحياتهم من شناعة . الا انها وجدته كسائر الرجال . ووجدته يفعل غير ما يقول . ويقول غير ما يفعل ... أفي الحياة بعد ذلك ما يستحق الاعتبار ؟ اليس الايمان بالكمال وهما والمحافظة على الطهارة ضربا من البلادة ؟ » [1] .

وهنا ينتقل نعيمه الى وصف تأثير رسالة هذه الفتاة

---

١ ـ لقد سردت معظم ما اورده نعيمه عن علاقة جبران بالفتاة الغريبة

على جبران وكيف انها دفعته « الدفعة القاضية الى محاسبة نفسه المحاسبة الأخيرة وتعريتها من كل اكسية الغش التي تحوكها الرغائب والمنى الأرضية » واذ مثلت لديه نفسه اقبل عليها يغسلها بكل ما في وجدانه من ماء الحق ... فأحس كأنها كانت له خصما فانقلبت صديقا فعانقها وعانقته وعقد معها الصلح الذي كان ينشده كل حياته . وعندئذ استدعى اليه الفتاة واستغفرها وتوسل اليها ان تستعيد ايمانها بالحياة والا تدين الله بهفوة انسان . وهذا هو الصلح الذي وضعه نعيمه عنوانا افصل من فصول كتابه ويعني به ان جبران قد صالح نفسه اخيرا بعد ان كانت له خصما لدودا . وانه قد وصل الى شاطىء السلامة بعد ان كاد يغرق في بحر الشهوات .

جبران النبأ الكاذب

يبدأ نعيمه بالحديث عن هذه النقطة التي كانت سهما من امضى السهام التي توجه الى صميم الهوية الجبرانية ، بسرد حلم لجبران على لسان جبران يظهره بمظهر الاسير لشهواته ومطامعه اذ قال : « رايتني جالسا على صخرة في وسط نهر واسع المخاضة كثير الرغوة . شديد العربدة . ليس على ضفتيه اثر لانس او لجن ، ومع اني لم احسن السباحة لم اكن في خوف من طغيان النهر ، بل كنت اشكر الله لانني في مأمن من المياه الصاخبة ، واعجب كيف توصلت الى الصخرة . وافكر في كيفية العودة الى اليابسة ، وانا كذلك واذا بافعى عظيمة هائلة تخرج من النهر وتتسلق الصخرة التي انا عليها ، فترتعد فرائصي منها ، واحاول ان ارفسها ، ثم امسك بخناقها لادفعها عني ولكن بغير جدوى ، اما هي فتأخذ تلتف علي دورة بعد دورة ، ويشتد ضغطها وثقلها على اضلاعي الى ان تنحبس انفاسي ، فاجمع كل قواي لاصرخ طالبا الاغاثة وعندها افيق من نومي وقلبي يقرع اضلاعي قرعا وقطرات العرق البارد تبلل جبهتي » [1].

ويقول نعيمه انه بعد ممات جبران لا يكاد يذكر جبران

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٨٩ وكثيرا ما لجأ نعيمه الى تصوير جبران من داخله ـ اذا صح التعبير عن طريق الحلم او طريق المناجاة او طريق اللاء في القلب .

ويتفحص معاني حياته الا ويذكر ذلك الحلم ويرى فيه رمزا لحياةجبران « فالنهر الصاخب هو العالم بامجاده ومساخره، وملذاته واوجاعه ، ورغائبه واطماعه . والصخرة هي حقيقة الوجود الثابتة في تيار الحياة العالمية . وقد ادركها جبران بخياله النشيط واطمأن اليها بروحه . والأفعى الخارجة من النهر هي ميول جبران العالمية وتعطشه الى مجد العالـــم وعظمته وملذاته . وهي التي افسدت عليه طمأنينته الروحية ونشوته الخيالية وقضت على امنيته الكبرى ـ امنية التوفيق بين اعماله واقواله ، بين ذاته الظاهرة وذاته الخفية » [1] .

وفي صيف تلك السنة التي حلم فيها جبران بذلك الحلم الذي يرى فيه نعيمه رمزا لحياة جبران وصورة لنفســه يتحدث نعيمه عن نزهة يقوم بها هو وجبران ونسيب عريضه وعبد المسيح حداد الى مزرعة صغيرة تبعد مئة ميل عـــن نيويورك اسمها كاهونزي «وهي واقعة في قلب غابة شاسعة الامتداد قلما تطأ ادغالها قدم انسان. وفي تلك العزلة الطافحة بالسلام المعطرة بالسكينة يقضي الادباء الأربعة ، عشرة ايام ينعتقون فيها من قيود المدنية ومن ضجيج نيويورك وجوها المرهق . وذات يوم يقودهم التطواف الى شلال جبار فــي

---

١ ـ جبران خليل جبران ص ١٩٠ .

قعر واد حجبته الأدغال عن الأنظار كأنه متنسك لا تنقطع صلاته ليل نهار وفي صلاته دوي الرعد وهيبة الوحدة ورهبة المثول امام العزة الصمدانية وجها لوجه . وهناك يقفون كالمسحورين وابصارهم تتغلغل في تجاعيد المياه الغزيرة الهاوية من علوها الشاهق . وجلس الأربعة على صخرة وسط النهر امام مصب الشلال كأنها معدة لمن يطلب منادمة المياه الزاخرة في خلوة من الطبيعة مثل تلك الخلوة ، وهناك طاب لهم ان يشربوا قليلا من العرق وان يرفعوا اصواتهم بالغناء ثم ان ينحدروا الى النهر نازعين عنهم اثقال المعيشة وادران الماضي ومخاوف المستقبل » .

وفي طريق العودة يقول نعيمه «سار نسيب وعبد المسيح في المقدمة ومشيت انا وجبران في المؤخرة . وبيننا وبين رفيقينا مسافة لا يسكنهما معها سماع حديثنا ولا يمكننا سماع حديثهما . وكنت وجبران نتحدث بالانكليزية ... وكان حديثنا في قطعة قرأها لي من امد قريب عن المحبة وقال انها ستكون الأولى من سلسلة قطع على شاكلتها ينوي تأليفها ونشرها في كتاب سيدعوه (النبي) . وكان قد سبق لي ان ابديت له اعجابي بتلك القطعة وارتياحي لانتقاله من التمرد على الناس وحياتهم الى تفهم اسرار تلك الحياة ... وانتهى بنا الكلام الى الصمت الذي هو افصح من كل كلام .

قطعنا مسافة من الطريق على وقع افكارنا الصامتة • والاشجار عن جانبينا تستقبلنا وتشيعنا صامتة • والطريق تحملنا كأنها بساط من ريح • ونحن كذلك ، واذا بجبران يقف فجأة ويضرب الطريق بعصاه وينادي « ميشا » فأقف مثله والتفت اليه • فارى بهجة الشلال قد طارت من عينيه وحلت محلها سحابة من الكآبة المريرة • ثم اسمعه يناديني ثانية باسمي ويقول :

« ميشا ، انا نبأ كاذب I AM A FAISE ALARM »
ثم يطرق ويعود الى الصمت » •

ويأخذ نعيمه بوصف اثر تلك الكلمات الثلاث في نفسه فيقول ان لا شيء هزه من كل كلمات جبران منذ التقيا حتى افترقا مثل هذه الكلمات الثلاث • ثم يمضي في تحليلها وما الذي فهمه منها فيقول : « لعل الطبيعة التي لا تعرف التكتم والتستر ، فلا تظهر بغير مظهرها ولا تستحي بحالة من حالاتها ، سطت عليه بكل ما فيها من سحر التعري والصدق والامتثال ، وبأسرع من لمحة الطرف أنارت كل زوايا قلبه وخزائن نفسه فجعلته يخجل من كل ما تخبأ فيها من ضعف تردى برداء القوة، وتصنع امتسح بمسحة الجمال ، وشهوة نهمة بدت كأنها العفة الصائمة • فرأى نفسه نبأ كاذبا ، وهاله ان يكون ذلك النبأ في حضرة الطبيعة التي لا تعرف الكذب

ولا الغش . وهاله اكثر من ذلك ان يكون رفيقه الماشي بجانبه ممن صدقوا النبأ . فلم يتمالك من الاعتراف له . بل لم يجد كالاعتراف لصديقه منقيا لقلبه ومطهرا لنفسه . ولم يجد افضل من الطبيعة شاهدا على صدق اعترافه » [١] .

ويقول نعيمه انه لم يطق اعتراف جبران امامه ولم يطق ان يراه يجلد نفسه العاتية المتمردة امام عينيه ويتركها عريانة وبلا سلاح، لذلك غير مجرى الحديث واسرع في السير . فكأن نعيمه بايراده هذا الفصل يريد ان يقول ان نفس جبران قد ظهرت آنذاك على حقيقتها صغيرة وضيعة بخلاف ما تظهر في كتاباته ورسومه .

---

١ ـ يراجع (جبران خليل جبران) ص ١٩٥ و ١٩٦

جبران المقلد لنيتشه في (النبي) والمناقض لنفسه

قبل ان يتطرق نعيمه الى موضوع تقليد جبران لنيتشه في كتاب (النبي) يمهد لذلك بالحديث عن اهمية الشكل او المبنى في الادب او الفن وعن اهمية القالب الذي هو من الشعر والفن بمثابة الجسد من الروح وبعد ذلك يتساءل عن القالب الفني الذي خلقه جبران لكتابه (النبي) .

ويجيب نعيمه على تساؤله قائلا : « لقد خلق جبران رجلا دعاه (المصطفى) وجعل روحه نيرة الى حد ان سامعيه كانوا يخاطبونه (يا نبي الله) ... وهكذا بكلمة واحدة ، رفع جبران الفنان قيمة شعر جبران الشاعر الى مستوى النبوءة » (١) .

ويتابع نعيمه شرحه للقالب الذي انتقاه جبران لكتابه النبي فيتحدث عن مصطفى جبران وكيف عاش في مدينة اسمها (اورفليس) اثنتي عشرة سنة في انتظار سفينته التي ستعود به الى مسقط رأسه . وكيف صعد الى أكمة خارج المدينة حيث ابصر سفينته مقبلة في الضباب . فشعر بالعواطف المتضاربة بين لذة الانعتاق من الغربة والم الوداع ، وداع اهل اورفليس الذين احبهم واحبوه اعمق الحب . وكيف

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ٢١٤

يتقاطر الى المصطفى اهل تلك المدينة يلحون عليه بالبقاء بينهم • فلا يجيبهم الا بالصمت والدموع • وكيف يسير واياهم الى الساحة الكبيرة امام الهيكل فتخرج من الهيكل رائية اسمها (الميترا) فيرمقها المصطفى بحنان كلي ، لانها كانت اسبق الناس الى الايمان به ، فتطلب اليه (وهي التي تدرك ان لا مرد لعزمه عن العودة الى ارض تذكاراته ومسكن امانيه الكبرى) ، ان يحدثهم قبل الوداع عن كل ما هو بين الولادة والموت ••• فيلقي عليهم خمسا وعشرين موعظة في خمس وعشرين جهة من جهات الحياة الانسانية ثم يودعهم وداعا مؤثرا ويرحل الى بلاده •

ويقول نعيمه : « هذا هو القالب الذي اختاره جبران ليسكب فيه خلاصة افكاره في الناس وحياتهم • وهو كما ترى قالب جميل يليق بما يحمله ، وما يحمله يليق به • لكنه ــ ويا للأسف ــ لم يكن كله من صياغة جبران • فشكله الاجمالي مستعار من نيتشه وزرادشت • فكأن جبران الذي تخلص من سطوة افكار نيتشه لم يتخلص من سطوة اساليبه البيانية والفنية • ولم يكن يعلم انه لم يتخلص » [1] •

ويأخذ نعيمه بتعداد اوجه التقليد التي ظهرت في صياغة جبران لقالب كتابه (النبي) فيراها في أن :

---

١ ــ (جبران خليل جبران) ص ٢١٥

« نيتشه اتخذ زرادشت ــ وهو نبي ــ بوقا لافكاره.
وجبران اتخذ نبيا دعاه (المصطفى).

زرادشت نيتشه ... يعود الى (جزائره السعيدة)
ومصطفى جبران ... يعود ... الى (الجزيرة التي هي
مسقط رأسه).

زرادشت نيتشه يودع تلاميذه في آخر القسم الاول
من الكتاب ويقول لهم في ما يقوله : « وانا لن اعود اليكم
الا متى انكرتموني كلكم » ومصطفى جبران يودع اصحابه
قائلا في بعض ما يقوله لهم « اما اذا تلاشى صوتي في
آذانكم وطار حبي من ذاكرتكم ، فاني عائد اليكم مرة
ثانية ».

زرادشت نيتشه ... يصعد جبلا عاليا ... ثم يشرف
على البحر ويخاطبه ... وكذلك مصطفى جبران يصعد
هضبة خارج اورفليس ويخاطب البحر ...

وكما ان زرادشت هو نفس نيتشه كذلك المصطفى
هو نفس جبران، وكما ان نيتشه طرح على زرادشت نقابا
من التمويه الرمزي والمجازي يحجبه عن عيون الذين يجهلونه
من قارئيه هكذا طرح جبران على المصطفى نقابا من المجاز

والرموز يحجبه عمن ليس يعرفه » [1] .

وهكذا يؤكد نعيمه ان جبران قد دفع جزية كبيرة في كتابه (النبي) ، لنيتشه في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) . ويعتبر نعيمه ان جبران في كتاب النبي قد صور نفسه (نبيا) تحت نقاب من التمويه . فيستنكر ذلك منه فهو يقول : « لو اتخذ من المصطفى بوقا لافكاره واشواقه لهان الامر ... لكن جبران ربط ظروف حياة المصطفى بظروف حياته وصوره كمن بلغ في الواقع الحالة الروحية التي يحدث عنها . فكأنه صور نفسه بالغا تلك الحالة لا بخياله فقط بل في كل احوال معيشته وادوارها » .

وفي الفصل الذي يلي فصل المصطفى يظهر نعيمه جبران مناقضا لنفسه في الدستور الذي سنه لنفسه وللناس في كتاب (النبي) فيقول نعيمه ان : « جبران قد أدى في (النبي) شهادة في نفسه تكاد تكون الكمال بعينه . فمن يشهد مثل تلك الشهادة عليه ان ينسى ذاته الفردية ليجدها في الذات العامة ... فلا يملك شيئا لان كل شيء له » [2].

ويقول نعيمه ان جبران يعرف كلمة الامام علي القائلة :

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ٢٢٧ .

٢ ـ (جبران خليل جبران) ص ٢١٥ ـ ٢١٦

« من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره » • وبعد هذه المقدمة يتحدث نعيمه عن موجة المقامرة بالاطيان والمسقفات التي طغت على الولايات المتحدة في ذلك الحين وكيف اندفع جبران مع من اندفعوا في ذلك التيار وتشارك مع رجل سوري في بوسطن في شراء بناية هناك وكيف احدثا في البناية تعديلات وتحسينات لتلائم غايــة جمعية نسائية استأجرتها ، وكيف ان تلك الجمعية افلست فلم تعد البناية صالحة الا لجمعية كتلك الجمعية فتعذر على جبران وشريكه ايجارها وكانا يعتمدان على الاجور لدفع الباقي من ثمن البناية • وهكذا ذهب مالهما وذهبت اتعابهما هباء • مما سبب لجبران آلاما لا تطاق ومشاكل ملأت قلبه شوكا وعلقما وقبضت على روحــه بكف حديدية خشنــة كالمبرد •

وبعد ذلك يخبرنا نعيمه ان جبران استطاع ان يتغلب على المحنة وان يلجأ الى محابره ودفاتره فيسترد اضعاف الذي خسره ويشتري اربعين حصة في البناية التي يسكنها في نيويورك •

ويريد نعيمه ان يفهمنا من كل ذلك ان جبران يخالف روح تعاليمه في كتابه النبي فيندفع وراء التملك بدلا من ان « يجد ذاته الفردية في الذات العامة ••• فلا يملك شيئا لان

كل شيء له » •

وهكذا فجبران نعيمه يكاد يكون كما يرى فيليكس فارس « شاب مهاجر اشتغل بالفن والأدب فعاش عالة على ابرة اخته ، ثم على عاطفة عانس شمطاء استغل العزلة التي قضى بها عليها قبح وجهها وتكوينها ، وقد كان في الوقت نفسه يفترس قربها فتاة فيحرمها عفافها ويستطرحها جنينها منه الى التراب • ويذهب هذا الفتى الى باريس فيسبر اغوار الفن وينسى الفتاة التي اغواها حتى اذا لجأت اليه مدفوعة بحبها وبالحالة التي اوصلها هو اليها ، يكافهها مقاسمته فراشه خليلة ليعرضها مرة اخرى للحمل والاجهاض • ويحاول اقناعها باتباعه على هذا السبيل الضلول باسم الحق والحب والمبادىء العليا في الفلسفة والفن • ويسدل الستار على الضحية حتى في ضمير بطل الرواية الذي يفكر بعد ذلك جديا بعقد زواجه على العانس طمعا بمالها وتثبيتا لمركزه في عالم الأدب والفن وطلبا للتنعم بالحياة ، فتجرح هذه العانس عزة نفسه بطلبها التيقن من نظافته فيذهب حانقا عليها ولكنه سرّ في قلبه اذ حال هذا السؤال دون ارتباطه بالعانس المسنة القبيحة • » • وسنرى في الفصل الثالث اذا كانت صورة نعيمه لجبران صورة حقيقية أو ان هناك تهمة بالتحامل يمكن ان توجه الى نعيمه •

الفصل الثالث

حكم على نعيمه في النقاط التي اثارت الجدل في كتابه : جبران خليل جبران

بعد ان تحدثنا في الفصل الأول عن وجه جبران المشرق الذي يطالعنا من خلال كتاباته ورسومه ، وبعد ان تحدثنا في الفصل الثاني ، عن وجه جبران الآخر الذي رسمه نعيمه في كتابه عن جبران — ننتقل الى الفصل الثالث لنرى هل تكلم نعيمه بالحق عن جبران ام انه جانب الصواب في كثير او قليل مما كتب عنه . وسنناقش في هذا الفصل كافة النقاط التي صور بها نعيمه زميله جبران والتي اوردناها نقطة نقطة في الفصل الثاني باعتبارها النقاط التي أثارت الجدل الكثير وشكلت خطوطا تتكون منها صورة اخرى لجبران غير الصورة التي يعرفها له قراؤه والمعجبون به كتابة وتصويرا .

وقبل مناقشة هذه النقاط نرى لزاما علينا ان نتعرض بادىء ذي بدء الى نقد يوجه الى الكتاب بصورة عامة اذ هناك من يرى في الكتاب مزيجا من الرواية والسيرة ونؤيده في ذلك . وان الرواية اسلوب لا يصلح عند الكتابة عن علم من الاعلام .

الكتاب رواية لا سيرة

اذن المأخذ الاول الذي يؤخذ على نعيمه في كتابه عن جبران هو ان كتابه جاء مزيجا من الرواية والسيرة . الامر الذي خالف فيه نعيمه المألوف المعروف في الكتابة عن الاعلام. لأن الكتابة عن الاعلام وعن حياتهم الشخصية بالذات تستهدف ان تضع امام القارىء صفحات حياتهم وما فيها من اعمال واحداث وما مر فيها من مصادفات ومناسبات وازمات ونجاحات وما هب فيها على الكاتب من عواصف ونسمات رخية وما لبّد سماءها من سحب الهموم والاحزان وما انارها من شموس الفرح واقمار السعادة. ويقبل القارىء عادة على سيرة الكاتب ليطلع على الاطار التاريخي الذي يمكن من فهم الصورة التي هي ادب الاديب او علم العالم او عبقرية العبقري . لان الوقائع التي تؤلف حياة الاديب ترتبط بروابط وثيقة بانتاجه بحيث يستحيل فهم ادب الاديب دون فهم هذه الوقائع التي تؤلف حياته وهذه البيئة التي اكتنفت هذه الحياة ، فطبعت انتاجه بطابعها وتركت عليه آثار بصماتها ولونته بألوانها وخطوطها وظلالها .

ولكن القارىء الذي يقبل على كتاب نعيمه ليقرأ فيه وقائع سيرة حياة جبران سيصاب بالخيبة. لانه لن يجد فيه الا

وقائع قليلة هي بمثابة الهيكل العظمي في جسم السمكة الكبيرة وكل ما عداه اشياء تخيلها نعيمه واستوحاها من معطيات بسيطة والصقها على ذلك الهيكل العظمي فكانت بمثابة لحم السمكة الكبيرة الذي يزيد اضعافا مضاعفة على هيكلها العظمي.. وهذا الحكم على الأقل ينطبق على الكتاب حتى الفصل الذي يتحدث فيه نعيمه عن معرفته بجبران سنة ١٩١٦ .

لقد عرفنا في روايات جرجي زيدان مزجا لعناصر الرواية بعناصر الوقائع التاريخية ورأينا الاسطورة او الخيال يتعانق ويتشابك مع التاريخ بحيث يستحيل الفصل بينهما الا على الاختصاصي في تاريخ العرب والاسلام وعرفنا في روايات اسكندر ديماس مثل هذا المزج لعناصر الرواية بعناصر التاريخ بشكل يختلط فيه الحابل بالنابل ـ اذا صح التعبير . وهذا هو حال نعيمه في كتابه عن جبران وقد جعل من المتعذر على القارىء العادي ان يعرف اين تبدأ وتنتهي حدود الواقع في كتابه واين تبدأ وتنتهي حدود الخيال . وبكلمة واحدة لا يمكن الفصل بين عناصر السيرة والرواية الا بدراسة منهجية موضوعية دقيقة. وبذلك عكس نعيمه الغاية من وضع كتاب عن علم من الاعلام فهو في كتابه بدلا من ان يلقي الضوء حول ادب جبران لنرى الجذور

الضاربة في تربة الحياة التي انبتت هذا الادب ــ اي لنرى جبران في ظروف حياته وفي وقائعها المختلفة وانعكاس هذه الوقائع على ادبه ــ جاءنا نعيمه بطريقته الروائية التي يصعب فيها تمييز الواقع من الاسطورة وفصل السيرة عن الرواية وبذلك اصبح كتاب نعيمه عن جبران بدلا من ان ييسر لنا توضيح ادب جبران يحتاج هو نفسه الى التوضيح •

فالطريقة الروائية التي تعتمد اساليب علم النفس لا تكون وسيلة للكشف عن نفس الاديب بل طريقة السيرة التي تعتمد على الوقائع هي وحدها التي تقودنا الى فهم روح الاديب ونفسيته وبالتالي الى فهم ادبه وما فيه من خلجات ومعان وصور واضواء وظلال • ولقد اصاب الحقيقة فيليكس فارس عندما قال معترضا على طريقة نعيمه الروائية ما يلي :

« ••• ان الطريقة الروائية اذا صحت في الاساطير والاقاصيص عن اشخاص مجهولين او مختلقين اختلاقا ، فانها لا تصح مطلقا في سرد الوقائع عن رجل معروف ملك البيان باطرافه وليس لسواه ان يتكلم عنه في اي موقف من مواقفه تجاه ربه او تجاه نفسه او تجاه اي كان » [١] •

١ ــ رسالة المنبر الى الشرق العربي ص ١٥٩ .

ونرى نعيمه يعمد الى الكلمات يضعها في فم جبران وينطق بها لسانه لنصل من ورائها الى الكثير من المعاني والصور التي يريد نعيمه ان يقدمها لنا ، فهـذه الكلمات ترسم لنا الخطوط الكثيرة التي يؤلف منها نعيمـه صورة جبران في كتابه عنه .

ويورد لنا فيليكس فارس مثالا على هذه الكلمات التي يضعها نعيمه في فم جبران . اسمع جبران يقول مكرها : ـ لماذا لماذا لماذا ؟ لانك دنست روحك بالفسـق وبالغش وبالكذب يا جبران . لانك استدفأت فراش الشهوات وهو بارد . واستنعمت لحاف الملذات وفيه مناخس . لانـك خاطىء يا جبران وهل يجازي الله الأم بخطيئة ابنها والاخ والأخت بذنب اخيهما ؟ » [1] .

ويضيف فيليكس فارس معلقا : « اليس هذا هـو الكفر بعينه ؟ وهل كان جبران لينطق بمثل هذا ؟ بل هل كان جبران لينظر الى القضاء عابسا بوجهه منزلا به وبأهل بيته النوازل لانه وقع في شراك امرأة كما يقـع ملايـين المراهقين على وجه هذه الأرض ؟ لقد اسرف المؤلف كثيرا بالشتائم يرسلها الى جبران من فم جبران ، الدنس الفسق الغش الكذب » [2] .

---

١ و ٢ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٦٦

ومن الجلي ان مثل هذا الاسلوب يبتعد كثيرا عن اداء الحقيقة ويختلف كثيرا عن الواقع • وهو لا يكون في ادب السيرة بل هو اسلوب الادب الروائي الذي يختلف في الغاية عن ادب السيرة • فالادب الروائي يقوم على سبر اغوار النفس البشرية اعتمادا على القياس والتصور والاستنتاج • بينما ادب السيرة لا يقوم الا على معرفة الوقائع وتقصيها •

لذلك لا نستغرب ان يطلق الريحاني احتجاجه على اسلوب نعيمه الروائي الذي يراه مبنيا على العمليات السيكولوجية في سبر القلوب • يقول الريحاني : « انا لا اطمئن ولا أظن جبران يطمئن الى هذه « العمليات » السيكولوجية التي يكثر فيها التعسف والسخافة ، وهي لا تزال حتى في أجلّ واجلى احوالها من النعم العلمية المريبة » [1] •

وانه لامر شديد الوضوح ان الكلمة التي ذكرناها من مختارات فيليكس فارس كمثال على ما يقوله جبران نعيمه لا يمكن ان تؤدي الى حقيقة يعتمد عليها في فهم روح جبران او نفسيته او واقعه في تلك الفترة من حياته • ولقد حق لفيليكس فارس ان يحتج على اكراه جبران على قول مثل هذه الكلمات التي تؤلف منها الروايات لترسم افكار بطل

---

١ ـ يراجع سبعون ج ٣ ص ١٠٤

الرواية الذي اخترعه المؤلف واستوحاه من خياله واخذ يمده بسوهبة الكلام وغيرها من المواهب • فجبران نعيمه يتكلم ويتكلم دائما مع اخته ومع العالم المجهول ومع فنه ومع نفسه عن نفسه وغرامه ووطنه ، حتى الحوادث والوقائع نفسها ترد بشكل مناجاة جبران لذاته • بل انك لتشهد جبران يتكلم في قلبه ففي الصفحة ٧٤ تجد هذه الجملة (هنا قال جبران في قلبه ما اكثرهم عشاق الفن في هذه البلاد ومــا اكذبهم) ويتمسك المؤلف بهذه الطريقة فهو لا ينفك عن اسماعنا (صوت جبران) • فهلا كان اصلح له ان يسمعنا صوته هو متكلما عن صديقه فلا ينفحه بكل هذه الافكار التي قد لا تكون مرت بخاطره •

ولا نستفيد نحن من مثل هذه الكلمات التي توضع على لسان جبران في الاستدلال على جبران ، بل لمثل هذه الكلمات فائدة اخرى في الاستدلال على فن المؤلف وعلى اسلوبه الانشائي وطريقته في السرد والحوار والمناجاة •

وفي زيارتي لنعيمه حدثني حديثا مطولا استغرق ساعة عن المصادر التي اوحت له عناصر « اللحم والدم » في كتابه عن جبران • وكلمة اللحم والدم تعني لــدى نعيمه العناصر الروائية التي هي من عمل الفنان يضيفها الى « الهيكـــل العظمي » الذي يعني به الوقائع والحوادث الثابتة • ومن

جملة الامثلة التي قدمها الي نعيمه ولادة جبران التي قال ان عنصر الوقائع فيها معروف من تاريخ ولادة الى اسم الوالدين الى مكان الولادة، وما زاد عن ذلك مما قالته القابلة ومما قالته الأم وقاله وفعله الأب ساعة الولادة كل ذلك لحم ودم من المؤلف . ويقول نعيمه ان مثل هذه الاضافة على الوقائع استوحاه من جو القرية اللبنانية الذي يعرفه جيدا ومما يمكن ان يتكرر حدوثه في القرية اللبنانية وبصورة عامة .

ولكن نعيمه شعر بالحرج عندما سألته هل اشارة ماري هاسكل الى ان امرأة اغوت جبران في الرابعة عشرة من عمره كافية ليضع قصة حب اول لجبران تستغرق ما يزيد على الثلاث عشرة صفحة ؟ وما هي فائدة الكتاب العلمية في معرفة جبران اذا كانت مادة الرواية تزيد كل هذه الزيادة على مادة السيرة ؟

ولكن دفاع نعيمه عن نفسه ورد في كتابه سبعون في فصل (جبران خليل جبران) اذ يقول نعيمه في مطلع هذا الفصل « عندما قر رأيي على وضع كتاب عن جبران لم اشأ ان انهج فيه النهج المبتذل في كتابة السيرة . فما انا بالمؤرخ او البحاثة يجمع شتيت الاخبار والصور ثم يعرضها عليك مسلسلة في الزمان ويردك في آخر الكتاب او على هوامشه

الى مصادرها... فكتابي صورة حية له لا سرد جاف» [1].

ويصرح نعيمه بانه جعل جبران « ينطق باشياء وردت في بعض كتاباته واشياء لم ترد على لسانه او قلمه . ولكن بطريقة تنسجم كل الانسجام مع ذاتية جبران وميوله وطباعه وتفكيره وانفعالاته » [2] .

ولكن دفاع نعيمه مردود لأننا نبتغي الفائدة العلمية من كل كتاب يوضع عن علم من الاعلام ولا نبتغي الرواء والبعد عن الجفاف والابداع في التأليف والتصوير ورؤية الخيال يطير محلقا الى الاقاصي المجهولة والآفاق البعيدة . فنحن عندما نريد ان نتحدث عن علم من الاعلام علينا ان نكتب سيرة لا رواية ، وحسنا فعل الناعوري اذ ألحق كتاب نعيمه عن جبران بباب القصة في ادب المهجر واعتبره اعظم اتناج روائي لميخائيل نعيمه واعتبر الكتاب رواية خيالية كما اعتبر خيال نعيمه عجيبا في اختلاقاته . لا بل اعتبر كتابه عن جبران رواية من اروع ما عرفه الأدب العربي في فن الرواية» [3] .

وبكلمة واحدة ان فن نعيمه الروائي مهما كان جيدا في

---

١ ـ سبعون ج ٣ ص ١٠١

٢ ـ سبعون ج٣ ص ١٠٣

٣ ـ راجع مقال القصة والروايـــة في الادب المهجـري . لعيسى الناعوري. مجلة الاديب. السنة الحادية عشرة ـ العدد التاسع ـ ص ١٤.

هذا الكتاب لم يكن هو المطلوب . ناهيك عن ان هذا الفن بالذات ـ فن نسج الخطوط الروائية ـ ادى الى وضع كثير من الالوان المستهجنة في الصورة الجبرانية كما سنرى عند مناقشتنا للفصول التي عقدها نعيمه عن غراميات جبران .

غراميـات نعيمة

قبل ان نأخذ كمواضيع لنا مناقشة الفصول التي رواها نعيمه عن النساء في حياة جبران نجد انه من الأنسب لا بل من الضروري ان نضع إمامنا صورا من الفصول التي رواها نعيمه عن النساء في حياته هو لنرى كيف كسا علاقته معهن بحلل قشيبة تقع عليها العين فلا تخجل ، وكيف انبثقت عن هذه العلاقات القصائد الجميلة المختلفة التي نراها في ديوانه (همس الجفون) فكأن نعيمه يتوخى من وراء الكشف عن هذه العلاقات بينه وبين نساء مررن في حياته الهدف الذي توخاه عند كتابه (جبران خليل جبران) ، كما جاء في مقدمته وهو اظهار الصراع الذي ينقي النفس من كل شائبة . وكأن نعيمه يتوخى كذلك اظهار اثر المرأة في ادبه وبصورة خاصة في شعره ، الامر الذي لا يكاد يظهر عندما يتحدث نعيمه عن علاقة جبران بالمرأة . ولقد فطن مارون عبود الى هذا النقص فقال : « ... الاوروبيون يذكرون المرأة التي احبها الاديب ليبينوا اثرها في فنه وأدبه ولم نر شيئا من هذا في كتاب نعيمه » [1] .

والحق يقال ان « شيئا من هذا » يوجد في كتاب

---

١ ـ جدد وقدماء صفحة ١٥١

نعيمه عن جبران ولا نستطيع ان نجاري مارون عبود في نفيه المطلق ؛ ولكن هذا الشيء يظهر باهتا شاحبا ضئيلا اذا ما قيس بما يظهر من أثر المرأة في شعر نعيمه كما يظهره نعيمه عندما يتكلم عن غرامياته .

ولذلك حرصنا على اعطاء صورة عن غراميات نعيمه هنا لنظهر بالمقارنة الفرق بين ان يكتب عن نفسه وبين ان يكتب عن زميله جبران .

يقول نعيمه انه عرف ثلاث نساء معرفة الرجل للمرأة « (فاريا) في روسيا و (بيلا) و (نيونيا) في اميركا » [1].

وعلاقاته مع النساء الثلاث متشابهة فكل منهن متزوجة ، وكل منهن وجدت في نعيمه ضالتها التي فقدتها في زوجها ، وكل منهن وصلت علاقتها بنعيمه الى الحد الطبيعي الكامل ، وكل منهن تملص منها نعيمه رحمة بزوجها واعتبارا لحق هذا الزوج بعد ان أنبه ضميره اشد التأنيب .

وعلاقة نعيمه بالروسية (فاريا) تكاد تماثل علاقته من الاميركية (بيلا) ؛ فزوج كل من المرأتين يتخلف ويختلف عن زوجته في نواح شتى ؛ حتى ان نعيمه يعجب كيف تجمع

---

١ ـ سبعون ج ٢ ص ٢٢٣

الاقدار المتناقضين تحت سقف واحد • ولذلك سنضرب صفحا عن علاقة نعيمه بالروسية (فاريا) وان كانت الوحيدة التي وعدها نعيمه بالزواج ان تم ادخال زوجها الى احد الاديرة ، وسنضرب صفحا عن علاقة نعيمة بنيونيا وان كانت مصدرا للوحي أمد نعيمه بثلاث او اربع من قصائده الانكليزية ، وسنكتفي بان تتناول بشكل مختصر علاقة نعيمه مع الاميركية (بيلا) التي ــ بصورة خاصة اوحت الى نعيمه بكثير من اشعاره المدرجة في ديوانه (همس الجفون) •

يخبرنا نعيمه ان التي يدعوها (بيلا) كانت ربة البيت الذي اكترى فيه له « وكرا صغيرا » في نيويورك • ولندع نعيمه يصفها لنا « انها تبدو في نحو الثلاثين وجهها المستدير ناعم هادىء ، لا اثر فيه لأي من المساحيق الا القليل من البودره ولا شيء فيه تنفر منه العين • انه جميل • ولعل اجمل ما فيه هو الفم بشفتيه الدقيقتين ، القرمزيتين • ثم العينان الزرقاوان الواسعتان اللتان لم تفقدا بعد حلاوة الحياء• ثم مسحة من الحزن والالم المكبوت تطفو عليه لمحة وتغيب لمحة فتجعله يبدو كوجه فتاة استبد بها حلم بعيد المنال • او مات في قلبها حلم جميل . لذيذ • اما صوتها فيسيل عذوبة وانوثة • واما حركاتها فتنم عن ذوق لطيف ، واحساس دقيق • وباستطاعتك ان تجزم بانها حركات انسان

قد يتقبل الجروح من يد غيره ولكنه لا يمكن ان يجرح احدا . واما قامتها فمعتدلة وفوق المتوسط من قامات النساء » [1] .

اما رجلها (هاري) فلو رأيته في الشارع لقلت انه رجل كباقي الرجال . ولكنك اذ تتأمله وتصغي اليه عن كثب تبصر في وجهه الفظاظة والغلاظة ، والقسوة في عينيه ، وتسمع في حديثه ما هو أقرب الى البلاهة ، او الى سذاجة الاطفال منه الى حديث رجل في الاربعين من عمره . انه يعيش في بطنه ولبطنه ... يدمن شرب المسكرات ... وهكذا كانت تلك المسكينة تعيش معه في خوف مستمر من ان يعود في المساء الى البيت فيشبعها عربدة وشتما واهانة . وقد لا يتورع عن ضربها [2] .

ولا يستطيع نعيمه ازاء هذا التفاوت بين (بيلا) وزوجها الا ان يصرخ صرخة جبرانية « يا الله ها هنا كذلك ... رجل وامرأة لا يجمع بينهما اي جامع ، لا الذوق ولا العقل ولا المزاج ولا العاطفة . بل ان بينهما تباعدا كالذي بين الماء والزيت ولكن القانون المدني والقانون الكنسي

---

١ ـ سبعون ج ٢ ص ١٥٩
٢ ـ م.ن. ص ١٦٠

قد وجدا مسوغا لجمعهما في رباط يعز فكه »[1] .

ويقضي نعيمه ليلة رأس السنة مع (بيلا) وحيدين لا ثالث لهما اذ كان زوجها قد ذهب ليمضي الميلاد ورأس السنة مع والدته بعيدا عن نيويورك . ولندعه يحدثنا عن فوران دمه وغليانه وعن المبررات التي تبيح له علاقته الجديدة (ببيلا) القائمة على اساس اللحم والدم « انقضت عطلة الميلاد وانا و (بيلا) في عرس من اللذة والغبطة . لقد انهارت ، وكأنها من كرتون جميع السدود التي اقمتها في وجه شبابي ووجه قلبي منذ ان انقطعت علاقتي بماريا قبل ثماني سنوات . تلك كانت سنوات قحط وكبت عشتها بفكري دون قلبي . وها هو دم الشباب يغلي في عروقي ويفور . فلا تستطيع اية اعتبارات دينية او اجتماعية ان تحد من غليانه وفورانه. انها لتبدو له ترهات وخيوط عنكبوت، وتبدو هباء في مهب اعصار . ان يكن هنالك من اثم فهو اثم الطبيعة التي جعلت ذلك الدم قابلا للالتهاب بشرارة تنطلق اليه من دم فيه مثل ما فيه من الحرارة ومن قابلية الغليان والفوران . ومن ثم فههنا كذلك امرأة وثقتها التقاليد العمياء الى رجل لا تجانس بينها وبينه البتة . بل انها واياه الزيت والماء . فهي من ذلك في جحيم وهو ابعد ما يكون عن

---

١ ــ سبعون ج ٢ ص ١٦٠

النعيم . وتلك المرأة قد وجدت فيّ القوت والشراب لكل ما جاع وعطش في جسدها وروحها . وقد وجدت فيها مثل ما وجدته فيّ . وما هي التي كونت جسدها وروحها واودعتهما ذينك الجوع والعطش ولا انا المسؤول عن جوع جسمي وروحي وعطشهما » [1] .

ولنترك نعيمه يحدثنا عن الوجه المثمر في علاقته مع (بيلا) الذي هو الوجه الادبي وكيف اخذت توحي له تلك العلاقة بعد ان القته في دوامة من الاضطراب والصراع بين افكار شتى نظمها شعرا . يقول نعيمه : ـ

« وتلك العلاقة التي دامت خمس سنوات بيني وبين (بيلا) كانت الحافز لي على نظم قصائد عدة من القصائد المدرجة في (همس الجفون) واولها (افاق القلب) حيث اصور الصراع بين فكري وقلبي . فقد كنت قبل ان عرفت (بيلا) واطلقت لقلبي العنان في حبها ، احيا حياة فكرية بحتة . فأصرف كل همي اما الى الحركة الادبية الناشئة واما الى التأمل في الوجود واسراره ومعانيه ... اما من بعد ان بات لقلبي رفيق وبات قلبي يتذوق نشوة الشعور بان لا حياة لرفيقه الا به وفيه فقد اصبح من حقه ان يتسلم اعنة

---

١ ـ سبعون م.ن. ص ١٦٢

حياتي . وكفى الفكر ان يستأثر فيها زمانا وحده ولذلك
خاطب القلب فأقول :

اقلبي احكم ولا ترهب
فمالي منك من مهرب
فانت اليوم سلطاني
وانت اليوم رباني
ادرني كيفما ترغب

ودمر كل اسواري
وفضح كل اسراري
وان تعثر فلا تندم
وان تأمر فلا ترحم
وزد نارا على نار

وخل الناس بالناس
تقيس البحر بالكاس
وقل للفكر ان القلب
بحر شاسع طام
يقاس بغير مقياس

ثم انصح لكل من خلا قلبه من الحب ان يفتش لقلبه عن رفيــق :

اسفي عليك فــلا الذهــاب
سهــل لديــك ولا الايــاب
ستظــل تخبط فــي ضباب
حتــى ينير لــك الطريــق
قلب يكون لقلبك الواهي رفيق

وبدلا من الجفاء الذي كان مستحكما بين الفكر والقلب يستعين القلب بالفكر في تحليل ما حرمته التقاليد والشرائع. فينجده الفكر بالمنطق وهكذا يمضي القلب يخاطب شريكه في الحب :

قل اطعنا في كل ما قــد فعلنا
صوت داع الى الوجود دعانا
فاذا كــان في الحياة حــرام
فحرام من مثلنــا ان يهانــا
وحرام مــن مثلنا ان يدانا

يا رفيقي رفيق جسمي وروحي
وشريكــي في نعمتي وشقائي

قــل رأينا طهــارة وجمــالا
لا فسادا في صنع رب السماء
فأبحنا للنفس كــل مناها
وتركنــا الحــرام للفقهــاء

ويتابع نعيمه شارحا مختلف الظروف التي احاطــت بغرامه فأثرت على أدبه :

« واكثر من ذلك فالفكر الذي تحت ضغط القلب حلل المحرمات باسم الحب هو عينه الذي راح من فرط حنوه على القلب يرود الآزال والآباد فلا يجد مناصا مــن التسليم بأن ما يجري الآن وفي هذا المكان انما يتصــل اتصال السبب والنتيجة بكل ما جرى وسيجري في كل زمان ومكان ومن الأزل الى الابد • فقلبان يتعارفان ويتحابان لا بد ان يكونا قد تعارفا واتحدا في ضمير الله وقبل ان يكونا من لحم ودم • ولذلك اخاطب (بيلا) في قصيدة اهديتها اليها بعنوان (الى M. D. B.) فأقول :

انــا السر الــــذي استترا
بروحــك منـــــذ ان خطرا
ببال الكائـــــن الاعلـــى
خيــال العالـــم الأدنـــى
فكون مــن ثــرى بشرا

واختتم القصيدة بالمقطع التالي :

فهاتـــي يـــدا وهـــاك يـــدي
علـــى رغـــد علـــى نكـــد
وقولـــــي للاولى جهلـــوا :
معـــــا كنـــا مـــــن الأزل
معـــــا نبقى الـــى الابـــد

وبعد ان برر نعيمه هواه الجامح الذي عصف بجميع السدود وصاغ من هذا التبرير شعرا جميلا ، اخذ يصور يقظة الضمير وتدرجه الى الحالة الروحية التي يتطهر فيها من ادرانه • وتكون هذه اليقظة المـــا يشوش علـــى قلبه سعادته وشعورا بالشوائب تكدر حبه الذي ظنه صافيا وكل ذلك يجد تعبيرا له في شعره • يقول نعيمه :

« والذي يشوب حبنا هو وجود شخص ثالـــث لا يستطيع ان يحسه كما نحسه ، ولا ان ينظر اليه بالعين التي ننظر بها اليه • ولانه لا يستطيع ذلك ، ولانه يحسب نفسه صاحب الحق في (بيلا) ، بما فيه قلبها ، فحبنا يسبب لـــه آلاما • وآلامه تؤلمنا كلينا ــ وتؤلمني بالأخص • وهذه الآلام تجد لها منفذا في قصائد انظمها عندما يلح الالم في ان يكون له صوت • وتلح النفس في الخلاص من الالم •

من هذه القصائد واحدة دعوتها (التائه وحاولت ان اصور فيها الوحشة الروحية التي كانت تحيط بي كلما قام لي من نفسي محاسب لنفسي ... ومن تلك القصائد كذلك (ترنيمة الرياح) و (العراك) و (لما رأيت الناس) و (تخدير افكار). وكلها في (همس الجفون) [1] .

ويشتد حب نعيمه ويطغى على صوت ضميره ويبيت صوت (بيلا) اعذب الاصوات عنده على الاطلاق. اذا سمعه سرت في دمه مويجات من الغبطة والشعور بحلاوة الوجود وبات له (في شفتيها القرمزيتين رحيق ولا رحيق الآلهة) . ويعود نعيمه الى تبرير حبه ـ فكأنه اصيب بنكسة ردته الى حالاته الاولى من فوران دم وغليان عواطف . وفي تبريره يفترض اسوأ الاحتمالات ويخرج منها بنتيجة تشد ازر قلبه وتدعم حبه الذي تأصلت جذوره في سويداء ذلك القلب . يقول نعيمه : « لعل هذه العلاقة القائمة بينك وبين بيــلا ليست الحب الذي تتوهم ، لعلها شر لك ولها . شر ؟ ... وما هو الشر ؟ ومن اين ؟ وما هو الخير ؟ ومن اين ؟ [2] .

ويأخذ نعيمه بكتابة قصيدة من وحي (بيلا) يؤاخي

---

١ ـ سبعون ج ٢ ص ١٦٧

٢ ـ م.ن. ص ١٩١

فيها بين الشر والخير ويقضي على التمييز بينهما .. كل ذلك ليجعل علاقته ببيلا فوق مفاهيم الحلال والحرام. والقصيدة هي التي نقتطف منها هذه الابيات :

سمعت في حلمـي ويـا للعجب
سمعت شيطانا يناجي مـلاك
يقول : « اي بل الف اي يا اخي
لولا جحيمي ايـن كانت سماك ؟
اليس انـا" توأمـان استوى
سر البقـا فينا وسر الهـلاك ؟
الم نصـغ من جوهـر واحـد
ان ينسني الناس اتنسى اخاك ؟ [1]

وصاغ نعيمه هذه الفكرة نفسها في قصيدة ثانية يقول فيهـا :

فـي النـاس خـير وشر
في البحـر مـد وجزر [2] .

وتستطيع (بيلا) بعد ان ادخرت خمسة آلاف دولار - حقق امنية عزيزة على قلبها وهي الحياة في الريف الذي

---

١ - براجع كاملة في همس الجفون ص ٦٤ طبعة ٣ .
٢ - براجع كاملة في (همس الجفون) ص ٩٨ طبعة ٣

اصبحت تهيم به بعد ان عرفت نعيمه وعلمت انه يهيم بالريف هو الآخر ويكره (ضوضاء نيويورك وفجورها) • وهناك في الريف في ذلك البيت الذي ابتاعته (بيـــلا) وعرست حديقته بالازهار يستوحي نعيمه مقاله المشهور (المزابل) [1] •

وتنتهي حكاية غرام نعيمه بعد ان شعر ان هاري زوج بيلا عاد الى السكر بعد ان امتنع عنه متخذا من علاقـــة زوجته بنعيمه ذريعة لذلك • وهكذا يسدل الستار علـــى غرام نعيمه وبيلا ويبقى في ذهننا انطباع بعيد جدا عن ادانة نعيمه أو اتهامه بالغش او بالفساد . وعلى العكس نجد في رواية هذه القصة ضوءا يضيء لنا جانبا هاما من أدب نعيمه اذ انها بمثابة المناسبة الضرورية التي يجب ان نحصل عليها لنفهم النص الشعري جيدا . او هي القصة الضرورية التي تبين لنا مصدرا من مصادر وحي نعيمه الرئيسية في شعره وتشرح لنا الظروف والملابسات التي أنبتت عددا غير قليل من قصائده الجميلة •

والآن نتساءل هل تعطينا روايات نعيمه عن زميلـــه ... ان وعن النساء اللواتي دخلن في حياته صورة عن جبران [illegible] التي اعطاها نعيمه عن نفسه في قصته

---

١ ـ براجع المقال في المراحل ص ٩٢ طبعه ٢

التي تتحدث عن غرامه هو بالذات ؟ وهـل تعطينا هـذه القصص عن جبران نفس الفائدة الادبية التي نحصل عليها من تلك القصص عن نعيمه ؟ الجواب : سيأتينا في الفصول التالية التي سنناقش فيها روايات نعيمه عن علاقة جبران بالمرأة .

مناقشة نعيمه فيما اورده عن علاقة جبران بالنساء

قبل ان نبدأ بمناقشة نعيمه فيما اورده عن علاقة جبران بالنساء نرى لزاما علينا ان نقول ما قاله مارون عبود « انا لم الم نعيمه لانه قال ان جبران بشري احب كما يحب الناس . وهل انا مجنون لاعتقد ان جبران لا يعيش باللحم والدم كسائر الناس . لا أشك ابدا في ان دم جبران حار جدا . وان زعمت غير ذلك فرسومه تكذبني . ان تياراته الفكرية في ادبه وفنه تتجه دائما صوب الحب الذي يراه الحياة كلها . ومن قرأ اول حرف وآخر حرف مما كتبـه جبران ــ حتى يسوع ابن الانسان ــ رأى الحب كنجمة القطب واليها تتجه سفينة جبران » [1] .

---

١ ـ جدد وقدماء ص ١٤٩ .

فلسنا منذ الآن ممن ينزهون جبران عن الحب والعلاقات الجنسية ولا نرى اصلا في الحب والعلاقات الجنسية حرجا او اثما . ولكن نريد ان نتساءل هل الذي كتبه نعيمه قد كتبه وفاء للحقيقة والتاريخ او كان جبران بالنسبة لنعيمه موضوعا دسما لرواية فنية؟ هذا اولا . ونريد ان نعرف ثانيا هل الذي كتبه نعيمه قد كتبه ليبين صراع جبران « المستتب مع نفسه لينقيها من كل شائبة » كما يقول

في مقدمة كتابه عن جبران دون ان يكون قد قصد الغمز من قناة جبران او التحامل عليه ؟ ثم هل ابتغى اظهار اثر المرأة في ادب جبران كما سبق واظهر اثرها في ادبه هو جريا على سنة كتاب السيرة الذين يذكرون المرأة التي احبها الاديب ليبينوا اثرها في ادبه وفنه ؟ هذا ما نريد ان نعرفه الآن . وسنجيب على هذه التساؤلات الثلاثة واحدا واحدا .

التساؤل الاول

هل الذي كتبه نعيمه قد كتبه وفاء للحقيقة والتاريخ .
او كان جبران بالنسبة لنعيمه موضوعا دسما لرواية فنية ؟
بالنسبة لهذا السؤال او التساؤل لا شيء يؤكد صحة تلك الرواية عن حب جبران الاول الذي قرأناه تحت عنوان ـ الملاك المزيف ـ والذي اورده نعيمه في الفصل الذي دعاه (خيالات بوسطن)، وعلى العكس يعطينا نعيمه ما ينفي قصة هذا الحب عندما يقول في كتابه (سبعون) ان : « في حياة كل منا ما يمكن ان يسمى (الهيكل العظمي) وعظام هذا الهيكل هي النواتىء البارزة في حياته والتي في استطاعة المؤرخ ان يلم بها . اما اللحم الذي يكسو الهيكل . والدم الذي يجري في ذلك اللحم فلا يستطيع خلقهما المؤرخ . ويستطيعه الفنان . وانا في كتابي عن جبران . وبخاصة فيما دعوته خيالات بوسطن لم اكن مؤرخا بقدر ما كنت فنانا »[1] .

ويتابع نعيمه فيسرد الوقائع التي تشكل في بـــــاب

---

١ ـ سبعون ج٢ ص ١٠٢

خيالات بوسطن التاريخ او الهيكل العظمي ، والأمور التي ليست من التاريخ والوقائع اي هي من اللحم والدم الذي يكسو الهيكل ويكون من عمل الفنان . ولا يذكر شيئا عن حب جبران الاول هذا بين الوقائع التي تؤلف الهيكل العظمي ولا بين الامور التي تكسو الهيكل ، فاتحا لنا بابا واسعا للشك في حدوث هذا الغرام ، ولنترك نعيمه يتكلم : « هجرة ام جبران واولادها الاربعة الى اميركا واستيطانهم الحي الصيني في بوسطن والتقاء جبران ماري هاسكل ، وعلاقته الغرامية مع ميشلين ووفاة اخيه واخته ووالدته بداء السل ، وعرضه الزواج على ماري هاسكل الخ ... ـ ذلك ايضا تاريخ . اما وصف الحي الصيني وما دار من احاديث بين جبران وامه واخيه واختيه وبينه وبين ميشلين وماري هاسكل وبينه وبين نفسه فذلك لحم ودم من عندي »[1] .

وننتقل من مرحلة الشك الى مرحلة اليقين بان هذه القصة من الاحداث الروائية ما يعترف به نعيمه نفسه في مجلة (الحكمة) البيروتية بأنه لا يعرف شيئا عن خصوصيات

---

١ ـ م.ن. ص ١٠٢ و ١٠٣

جبران [1] .

وتأتي الرسائل المتبادلة بين جبران وماري ومذكرات ماري التي ظهرت أخيرا لتضيف تعزيزا جديدا ليقيننا . فهذه الرسائل التي تسجل فيها ماري كل شيء عن جبران مهما ضؤل شأنه ، لا تأتي على ذكر شيء عن غرام جبران الذي نطالعه في خيالات بوسطن . بل على العكس ان في الرسائل ما ينفي هـذا الغرام المبكر الذي افقـد جبران « عفة الصبا والطهارة » .

تقول ماري : سنة ١٩١٢ ان جبران قال لها : انه ظل صبيا من الناحية الجسدية حتى وقت متأخر ، فهو لم يصل طور الرجولة النفسية الا قبل اربع سنوات او خمس وانه كان خجولا يصارع خجله [1] .

فيظهر لنا من هذا القول لجبران انه لم يودع (عفة الصبا وطهارته) الا قبل سنة ١٩١٢ باربع او خمس سنوات. فاذا قلنا انه (ودعها) سنة ١٩٠٧ يكون عمر جبران آنذاك اربعة وعشرين عاما وليس اربعة عشر عاما كما حدد نعيمه

١ ـ الحكمة عدد كانون الاول سنة ١٩٥٦ في حديث نعيمه مع الدكتور جميل جبر .

٢ ـ اضواء على جبران ص ١٩ .

عمر جبران عندما عصف به الحب الاول • وهذا يعني ان جبرا نلم يعرف النساء الا بعد (الملاك الحارس) او (الملاك المزيف) المزعوم بعشر من السنين • وبالتالي نستطيع ان نعتبر غرام جبران في (خيـــالات بوسطن) ضربـــا مـــن الخيالات •

قد يقول قائل ان جبران قد لا يخبر ماري بالحقيقة فالجواب : طالما ان ماري مصدر نعيمه في هذه القضية ـــ كما اخبرني نعيمه نفسه في مقابلة اجريتها معه ـــ فلا بد ان يوجد لديها شيء مدون اخبرها اياه جبران في رسالة او في مقابلة وهي التي تدون كل شاردة او واردة عن جبران • واذا لم يكن لديها شيء من هـــذا ولـــم يصل الى علمها شيء من هذا فلا يمكن ان تتقول عن جبران وتهرف بما لا تعرف وهي الصادقة المؤمنة بجبران وحضوره وخلوده • واذا اعتبرنا نعيمه هو ذلك الشخص الذي نجله ولا نعتبره الا صادقا ••يبقى الجواب الذي لا جواب غيره وهو ان قصة الملاك المزيف ضرب من اللحم والدم الذي يكســـو الهيكل العظمي على حد تعبير نعيمه والذي يضاف الـــى الواقع اضافة وليس من الواقع في شيء [٢] •

---

٢ ـ واخيرا ثبت ذلك بصورة قاطعة في مقابلة ثانية اجريتها مع نعيمه اذ قال ان ماري لم تخبره الا بهذه الجملة Awomans started his sex life at fourteen فبنى عليها قصة الملاك المزيف التي استغرقت ما يزيد على ١٣ صفحة .

هذا من جهة صحة غرام جبران الأول • اما صحة علاقة جبران بميشلين فهي ثابتة فهناك في متحف جبران صورة لها وهناك ذكر لها يتكرر في الرسائل المتبادلة بين جبران وماري، وصورة لها ايضا في مذكرات ماري• فميشلين ليست فتاة خيالية وليس كما يقول جوزيف شيبان (صاحب احدث كتاب عن جبران ــ مرايا النفس ــ نيويورك ١٩٦٥) انه لم تكن ثمة فتاة اسمها ميشلين • وليس كما يقول عيسى الناعوري في مؤلفه (ادب المهجر) بأن ميشلين تحوير لاسم مسالين ومسالين امبراطورة رومانية مشهورة بالتاريخ • اما ميشلين ففتاة خيالية من صنع يخائيل نعيمه [1] •

ان نظرية الاستاذ شيبان والاستاذ الناعوري تنهدم في الحال من الأساس لاننا نجد ذكر ميشلين يتتالى في الرسائل والمذكرات (واحصاء سريع يشير الى ذكرها ٣٣ مرة فيها عدا المرات التي ذكرت فيها بمعزل عن جبران) [2] •

ولكن اذا كان ثابتا قيام علاقة بين جبران وميشلين فليس ثابتا ما يتهم به نعيمه جبران من انه تمادى في علاقته مع ميشلين فحملت منه وتنكر لها عندئذ • فأراد منها ان

---

١ ـ يراجع (ادب المهجر ص ٣٦٨) •

٢ ـ يراجع اضواء جديدة ص ٢٦

نقضي على الجنين وان تظل تساكنه بدون زواج كأن شيئا لم يكن. الأمر الذي جعلها تكفر بحبها وبجبران وتهرب منه بعد ان تزوره بباريس يائسة محطمة تشرق بدموعها لا تعرف اين تضع اقدامها وهي تهبط الدرج مسرعة لا تلوي على شيء • الامر الذي يوحي لنا ما اوحاه الى الدكتور جبر عندما قال ولعلها توارت ليلة ذاك عن الحياة [١] •

فحادث باريس الذي يتكلم عنه نعيمه يبدو انه مختلق فميشلين لم تلحق بجبران اليها وانما كانت في الواقع في باريس يوم ذهب هو اليها والتقيا فيها مرارا عديدة كان يذكرها لماري بانتظام في رسائله ، وبقيا على الدوام على صلة طيبة معا • اما خروجها تنتحب في الظلام الى انتحار فعلي او رمزي ، فالحياة (هذه المرة على الاقل) لم تكن فيها عناصر الرواية وكانت اقل منها مفاجآت ومدهشات • فنرى ان ميشلين مهما كان الذي حصل بينهما في لقاء معين ما، (اذا كان قد حصل مثل هذا اللقاء) لم تمت ولم تمت شيئا في ذاتها • وتابعت صلتها بجبران وبماري وتزوجت فيما بعد وانجبت ... وعاشت اعواما طويلة وماتت في اميركا في العام ذاته الذي مات فيه جبران ، بعده بستة أشهر [٢] •

وتشير الرسائل بين جبران وماري الى ان علاقة جبران

---

١ ــ جبران للدكتور جبر ص ٨٦

٢ ــ يراجع اضواء جديدة ص ٢٧

بميشلين في باريس كانت من ذاك النوع الذي تسيطر فيه العاطفة الشاعرية الرومانتيكية . فهو يكتب لماري في اواخر سنة ١٩٠٩ « ميشلين ، ميشلين المسكينة العزيزة : اتعرفين اينها الحبيبة ماري ، اني لا اجد كلمة اقولها لها ! انها حلوة جدا وعزيزة جدا ، وصلاتي ان تجد سلاما وراحة في ظل رجل صادق طيب [1] » .

ولكن الرسائل تظهر تطورا في عاطفة جبران نحو ميشلين بعد ان يصبح الاثنان في اميركا . ففي تشرين الاول ١٩١٠ يعود جبران لاميركا ويحدث ماري عن زيارة قامت بها له هناك في ربيع ١٩١١ ، ويردف : « مسكينة ميشلين : ان آلهة الجحيم على الأرض ينادونها وهي لا تستطيع ان تسد اذنيها بالشمع » وتزوره مرة اخرى في خريف العام ويصفها بالاشراق و « الفرنسة » ويقول في جملة معبرة تستلفت النظر « ان فيها شيئا وطيدا شيئا حقيقيا لم اكن قد رأيته قبل سنين عندما كنت شاعرا لحد كبير ورجلا لحد يسير » [1] .

---

١ ــ جبران خليل جبران ص ٢٨

١ ــ اضواء جديدة ص ٢٩

فلا اثر في المذكرات والرسائل كما نرى او اشارة الى حمل ميشلين او الى ازمة تنشب بينها وبين جبران بسبب هذا الحمل او بسبب شيء آخر ، بل نرى على العكس ان حبل الود ظل مستمرا ولم ينقطع بعد زواج ميشلين من شخص اسمه هاردي ، فجبران يسأل ماري عنها ويستطرد « بأنها ستكون دوما فريدة وستكون دوما حسنة ، وانها سعيدة الحظ اذ لقيت هاردي » [٢] .

ثم اذا كانت ماري هي التي امدت نعيمه باخبار ميشلين كما يقول في كتابه عن جبران (ص ٢٧٢) واذا كانت ماري وهي الحكيمة الخلوقة لم تزل ترى في جبران الرجل الذي يحق له الاحترام والاعجاب وهي تعرف علاقته بميشلين فما ذلك الا لأنها تعرف ان ليس هناك جناية ارتكبها جبران في هذه العلاقة .

اذن نستطيع القول الآن ان في حديث نعيمه عن علاقة جبران بميشلين تمتزج عناصر الرواية بعناصر السيرة . فهناك اشياء صحيحة وهناك اشياء غير صحيحة جعلها نعيمه عنصرا روائيا اضفاه على الواقع ومزجه به . ويعترف نعيمه بذلك عندما يقول في كتابه (سبعون) عن جبران بأن : « علاقته الغرامية مع ميشلين ... تاريخ ... وما دار من احاديث

---

٢ - م.ن. ص ٢٩

بينه وبين ميشلين ••• لحم ودم من عندي » [1] •

وكل ما يرد عن حمل ميشلين من جبران وعن طلب جبران القضاء على الجنين نجـده في الحوار بـين جبران وميشلين . اذن هو اضافة على الواقع وليس من الواقع في شيء • ولم يهتد فيليكس فارس الى هذا الأمر لان نعيمه لم يشرح ذلك الا فيما بعد في كتابه (سبعون) . ولو اهتدى لاتهم نعيمه بتشويه جبران فحسب عن طريق اضافة العناصر الروائية الغريبة الى سيرته الواقعية متعمدا عدم اظهار الحدود بينهما ليتم الالتباس والاختلاط ، وما اجهد نفسه بالطرق المختلفة ليجزم بعدم صحة رواية نعيمه كأن يتساءل بصفته رجل قانون ذلك التساؤل القانوني الذي هو (لماذا لم تقف ميشلين في مطالبتها غاويها موقف العذراء المهتوكة العرض . تتقاضى حق حياتها سلطانة على عرش الزواج ؟) • ومـا اخذ يلصق التهم بميشلين المسكينة ليظهرها وقد خسرت بكارتها وبراءتها قبل معرفتها بجبران •

---

١ ـ سبعون ج٢ ص ١٠٢ و ١٠٣

١ ـ ولقد سألت نعيمه عن هذه النقطة بالذات وهل يمكن ان تكون مسألة الحمل وهي مسألة حساسة ، من اللحم والدم الذي يضيفه الفنان الى التاريخ فأجاب بما يمكن ان نفهم كذلك وقال ان الفتاة عندما تمارس الفعل الجنسي مع شاب لا بد لها اخيرا من ان تطالبه بالزواج فقول ماذا نفعل بما اسميه [illegible] احساسي ...

ولعل اقرار نعيمه الضمني بان ما نسبه الى جبران مما يتعلق بالجنين وقتله لـم يكن واقعيا هو الذي جعلـه يحذف كل ذكر له في كتابه عن جبران منذ الطبعة الثالثة فما بعدها بالاضافة طبعا الى ضغط ردود الفعل العنيفة التي واجه بها الادباء والقراء تلك النقطة من قصة ميشلين التي هي بحق « بيت القصيد من حياة جبران الخصوصية » [1].

اما علاقة جبران بماري فهي حقيقة ساطعة كالشمس وكذلك القسم الجنسي منها الذي يلمح اليه نعيمه تلميحا عندما يقول : « ومن حين الى حين كان يقترب منه ذلـك النور فيؤنسه ويهديه عندما كانت ماري تزوره في نيويورك فيجعل بيته بيتها . او عندما كان يزورها في بوسطن فتجعل قلبها الدافيء وكرا لقلبه الشريد » [2] .

ومن يقرأ مذكرات ماري والرسائل المتبادلة بينها وبين جبران يشاهد ما فيه الكفاية من التفكير الجنسي والافعال الجنسية وان كان الجماع لم يحدث ابدا . والفضل في ذلك

---

١ ـ رسالة المنبر الى الشرق ص ١٦٧

٢ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٦٢ ولقد افضى الي نعيمة باكثر من ذلك عن علاقة جبران بماري اذ قال انه قد حدث لها من جراء هذه العلاقة (حبل خارج الرحم Extra utrrally) واضاف انه حتى ذاك الحين لم يكن قد سمع بعد بالحبل خارج الرحم .

لجبران [1] .

وكذلك صحيح ان جبران قد عرض الزواج على ماري وان امنية كانت في اعماق اعماقه هي ان تصدر عن ماري كلمة او تبدو منها حركة . يتمكن معها من الانسحاب بنظام فلا يتقيد بزواج يدفعه اليه عقله ويحجم عنه دمه . وصحيح ان ماري قد سألته حينذاك اذا كان « نظيفا » . كل ذلك قد ورد في المذكرات بوضوح تام .

لقد ورد في الرسائل والمذكرات ان جبران هو الذي طلب الزواج وان ماري هي التي بعد ان ترددت بين الرفض والقبول رفضت بتصميم . تقول ماري : « وهكذا فاني وصلت الى قرار بأن اتبع ما ظهر لي بانه اصبع الله الاخيرة. فقد اقصيت عني اكيدا امكان ان اصبح زوجته . ومع ان كل ساعة من ساعات يقظتي منذ ذلك الحين كانت مغموسة بالدموع ، الا اني اعرف اني مصيبة في قراري وان الدموع تعني الفرح لا الألم للمستقبل ، ان عمري هـو ببساطـة الحاجز القائم ما بيننا وبين هفوة زواجنا » وتتابع ماري كلامها بشكل يدل دلالة قاطعة على ان رفضها للزواج من جبران هو تعبير عن اشد انواع الحب له واكثرها عمقـا :

---

1 - راجع الفصول المتعلقة بماري في كتاب اضواء جديدة .

« ان بانتظار خليل حبا يختلف جدا عن الحب الذي يحس به تجاهي ــ انا لست الا خطوة في الطريق الى المرأة التي سيحبها ذلك الحب ومع ان عيني تبكيان الا اني افكر فيها بفرح ــ ولا اريد ان اتزوج خليل لاني اعرف انها تنسو الآن له ، مكان ما . وانه ينسو الآن لها » [1] .

وفي الرسائل ما يظهر ان جبران كان يخشى قبول ماري وانه ضمنيا كان يتمناها ان ترفض « انه لم يرد قط الزواج بي ، وقد عرفت ذلك منه عن طريق صمته » [2] .

ولكن في قصة ماري لنعيمة مع ذلك ما يثير الكثير من الاستفهام وما يمكن ان يجرد جبران من فضيلة الصدق ويلصق به تهمة ادعاء الحب ادعاء طمعا بغايات مادية . فأنت ترى جبران في رواية نعيمه بعد ان يضنيه التفكير بوطأة الحاجات المادية والخوف من ان ينقطع عنه المبلغ الذي ترسله اليه ماري شهريا ، يتجه بفكره الى ماري والى قضية الزواج منها كمخرج يحرره من الخوف والفاقة . فلا حب ولا شيء من ذلك يشعر به جبران نحو ماري وهي تلك العانس الشوهاء الشمطاء حسبما يصورها نعيمه ، يجعلنا وصفها نقول : اعوذ بالله رب الفلق [3] .

---

١ و ٢ ــ اضواء جديدة صفحة ٧٢

٣ ــ رسالة المنبر الى الشرق العربي صفحة ١٧٠ .

ولا نرى سببا لجعل جبران يشغف بروح ماري دون جسمها ويتمنى ان تكون روحها في جسم ميشلين ما دامت روح ميشلين على ما يصف نعيمه من الطف الارواح « في ابتسامتها ضعة الطفل وطهارته وفي ضحكتها كركرة الجدول النقي الطروب ••• واحيانا تفوه بما يحمل السامع على القول انها لشاعرة وحكيمة معا ••• اذا عطفت على طفل فبكل ما في كيانها من العطف ••• الواجب عندها ما لا تطيق القعود عنه . والحق ما يستريح اليه قلبها بكليته • والحرام ما انفت عاطفتها التدنس به ••• لا كبرياء فيها ولا ادعاء » •

كذلك لا نرى مبررا لوصف نعيمه لماري وهو الذي لم ير ماري الا سنة ١٩٣١ وقد اوشكت على بلوغ عامها الستين وكانت قادمة من سفرة طويلة مضنية لتودع الوداع الأخير رجلا عرفته واحبته مدة ربع قرن ويزيد ؟ فهو يصفها حين رؤيته لها آنذاك كما كانت في ١٩٠٤ • او لم يكن ممكنا ان تكون ابنة الثماني والخمسين سنة حتى وان انطبق عليها وصف نعيمه آنئذ . مختلفة شكلا عما كانت عليه وهي ابنة احدى وثلاثين يوم عرفها جبران ؟ •

وفي المذكرات والرسائل ما يوحي بان ماري لم تكن ابدا هذا المسخ • وانها كانت تروق جدا لجبران جماليا وجسديا وحسيا •• اننا نرى جبران « في خريف ١٩١٤

يحادث ماري عن الاجساد الجميلة ويقول لها ان جسدها مناسب التقاطيع بشكل جميل • وان النسب فيها بديعة جدا ويقول لها ان بنيانها خارق لانها خارقة جدا من ناحية جسدية • ونراه في ١٩٢٣ يأخذ عليها امنيتها بان يكون ردفاها اصغر حجما مما هما فعلا . ويقول لها ان ردفيها انهما بالحجم الصحيح تماما . وان عليها ان تكون شكورة عليهما. وانها متناسبة التركيب في جسدها كله بدون استثناء »[1] •

وفي الرسائل عبارات غرامية يتبادلها جبران وماري لم يكن جبران ولم تكن ماري ليكتبا اشد منها • كان يقول جبران « اقبل يدك بجفني يا ام قلبي العزيزة » « والان دعيني اصرخ بكل ما في حنجرتي من صوت اني احبك » • وكأن تقول ماري « شكرا للاله الطيب الذي وهبك لأمك قبل ٢٩ عاما والذي قبل عام قربنا واحدنا من الآخر ... يا اعز تجليات الله يا معاسي » « آه يا رمانتي ويا زهرة الرمان انت حريتي وربي الذي يفهم كل شيء »[2] •

فاذا ما صدقنا المذكرات والرسائل وهي من اغزر واهم الوثائق الشخصية ــ ننفي عن جبران تهمة الطمع المادي الذي دفعه الى طلب الزواج من ماري . بل ان وراء طلب الزواج

---

١ ــ اضواء جديدة ص ٦٨ .

٢ ــ م.ن. ص ٦٥

اعجاب جبران بماري واستساغته لها. لا بل هنالك حب عنيف كالعبادة من جانب ماري على الاقل قد يتأثر جبران به وهو المرهف الاحساس فيدفعه تأثره الى طلب الزواج . ونحن نرى ان نعيمه يتناقض مع نفسه عندما يصور ضغط الحاجة على جبران الذي انبثق منه التفكير بالزواج من ماري • وعندما يصور جبران بعد رفض الزواج وقد اتفق رفض ماري مع الأمنية التي في اعماق اعماقه • فاذا كان هدف جبران اموال ماري فلماذا يتفق رفضها مع الأمنية التي في اعمق اعماقه ؟ ان العنصر الروائي واضح هنا وعدم احكامه هو الذي يسبب مثل هذا التناقض وهذه الهلهلة •

اما صحة علاقة جبران بالفتاة الغريبة التي اوردها نعيمه في الباب الذي وضع له عنوان ـ الصلح ـ فليس في كل المراجع الموجودة لدينا ما يثبتها او يشير اليها اشارة• لذلك كان لا بد ان نتوجه بسؤال الى الاستاذ نعيمه في مقابلة اخيرة اجريتها معه عن مصدر هذه القصة• وكان جواب الاستاذ نعيمه : ان الفتاة نفسها هي مصدر هذه القصة وهي الفتاة التي يتحدث عنها في كتابه (سبعون) والتي سماها (هيلدا) [1] •

---

١ ـ يراجع فصل هيلدا في (سبعون) ج٢ ص ٢١٠ ، والفصل الذي سبقه . وهيلدا فتاة يهودية اسمها الحقيقي الذي رجاني نعيمة ان لا انشره ، ولم ار اي محذور في نشره ولذلك استميحه عذرا اذا ما قلت ان اسم الفتاة هو (Gertrude Stern) .

فاذا كان الامر كذلك فهناك تناقض بارز بين ما يذكره نعيمه عن طهارة هذه الفتاة في كتابه عن جبران وما يذكره عن فورانها الجنسي وشبقها في كتابه (سبعون) • وهذا التناقض يضعنا في موضع الحيرة والاستغراب• فهي في كتابه عن جبران (مشبعة بروح النبي) [1] ، تتحدث مع جبران (بلسان يتعثر بشتى الانفعالات ولكن بروح تفيض حماسة وطهارة) [2] • وهي في كتاب (سبعون) ذات وصف آخر (ففي عينيها السوداوين شرار ودهشة وفي حركاتها العصبية قلق ولجاجة) تطلب من نعيمة ان تقضي السهرة في مسكنه وتتعدد زياراتها وتضيق الشقة بين الزيارة والزيارة ويغيب ذكر جبران تدريجيا من حديثها ، وفي ليلة رأس السنة تحصل على زجاجة ويسكي عن طريق التهريب وتطلب من نعيمه قضاء ليلة رأس السنة سوية •• وفي تلك الليلة يذوق نعيمه الويسكي فيجده مما يؤذي الذوق والصحة بالسواء ويقلع عن الشرب ، اما هي فتسكب لنفسها وتشرب الفينة بعد الفينة ••• لعلها تتغلب على ما بها من خجل امامه او احترام له ، فترى نفسها بين ذراعيه وتستسلم بكليتها ، ليطفىء الشهوة المشبوبة في دمها •

ان هذا التناقض بين الصورتين اللتين رسمهما نعيمه

---

١ و ٢ ـ (جبران خليل جبران) ص ٢٥٢ و ٢٥٣ .

للفتاة يجعلنا نشعر بتسرب العنصر الروائي الى قصة هذه الفتاة • فكيف يمكن ان تكون طاهرة كالزنبقة في القصة الاولى تحمي نفسها وجسدها من جبران وشهواته . وهي في القصة الثانية تندفع الى نعيمه دون سابق معرفة ليبرد غليلها ويطفىء نار شهوتها ؟ ترى هل السبب في اختلاف الصورتين ارادة نعيمه في ان يظهر الاختلاف بين موقفين : موقفه هو من الفتاة وموقف جبران منها ؟ [1] •

ان الذي يظهر واضحا للعيان امام نور المنطق والبصيرة هو ان هذه الفتاة التي تتدافع تدافعا لكي تمارس العمل الجنسي لا يمكن ان تكون قبل عدة اشهر فقط ، تلك الفتاة الطاهرة التي يحدثنا عنها نعيمه في كتابه عن جبران ، والتي يدان جبران بسببها تلك الادانة • ولذلك نقول ان العنصر الروائي واضح في القصة وان كنا لا نعرف الى اية درجة • لان نعيمه يصر على صحة القصة بكاملها وهو لا يعترف مثلا كما اعترف بالنسبة الى قصة الملاك المزيف بان اساس القصة جملة واحدة لا غير قالتها له ماري هاسكل •

---

١ ـ يذكر نعيمه ان (هيلدا) قد اهدته حين غادر اميركا عائدا الى لبنان باقة من الورود البيضاء عليها بطاقة تقول : انها نقية كقلبك .

التساؤل الثاني

هل الذي كتبه نعيمه عن علاقة جبران بالمرأة قد كتبه ليبين صراع جبران مع نفسه لينقيها من كل شائبة دون ان يكون قد غمز من قناة جبران او تحامل عليه ؟

ان سرد قصة الملاك المزيف يظهر التزام نعيمه بمبدئه الذي اعلنه في مقدمة كتابه من انه يريد ان يبين صراع جبران مع نفسه لينقيها من كل شائبة. ولقد ظهر ذلك في وصفه لرقصة الافكار المتضاربة في رأس جبران من حين الى آخر كلما ذهب الى البيت السري وكلما خرج منه . وكذلك في تصميمه على قطع علاقته بتلك المرأة التي ظنها ملاكه الحارس. وفي سفره الى لبنان بعيدا عنها ليستمر في تحقيق مخططاته في التحصيل والدرس دون ان يحسب لها حسابا . واخيرا في تجاهلها بعد عودته من لبنان حينما سلمت عليه فلم يرد التحية . ولكن في جذع شجرة نعيمه اثر للسوس على حد تعبير الريحاني [1] . هذا السوس يظهر حينما يربط نعيمه بين علاقة جبران بالملاك المزيف . موت اخته سلطانة ، وعندما ينطق جبران ويجعله « يقول مكرها » على حد تعبير فيليكس فارس [2] . « ماذا سلبك اختك

---

١ ـ جريدة البلاد ٦ كانون ثاني ١٩٣٤

٢ ـ رسالة المنبر الى الشرق العربي ص ١٦٦

سلطانة ؟ مشيئة الله ... ماذا نقل مرض اختك الى امك واخيك ... مشيئة الله . ولكن لماذا شاء الله ما شاء ويشاء ما يشاء ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لانك دنست روحك بالفسق وبالغش وبالكذب يا جبران . لانـك استدفـأت فراش الشهوات وهو بارد . واستنعمت لحاف الملـذات وفيه مناخس . لانك خاطيء يا جبران » [1] .

لقد جعل نعيمه ثمنا باهظا لمغامرة جبران الاولى وهو الفتى في سن الرابعة عشر من العمر بينما لم يجعل لمغامراته هو اي ثمن .

وان كان نعيمه لم ينس في قصة (الملاك المزيف) ان يبين صراع جبران مع نفسه لينقيها من كل شائبة فانه في قصة (ميشلين) قد نسي ذلك تماما فليست هناك اية اشارة يبديها جبران تدل على صراعه مع نفسه لتنقيتها ، بل علـى العكس نراه هنا ينمق الكلام ويكسو اغراضه الحلـل المزركشة لينصب شراكا لميشلين . وكلما جلبته ميشلين الى صميم الموضوع الذي هو الزواج اخذ يراوغ ويستر هروبه بتعاليه على الناس واحتقاره لهم . فعندما تسأله متى تعترف بي امام الناس يهاجم الناس وشرائـع الناس التي منهـا

---

١ ــ (جبران خليل جبران) ص ٦٨ .

الزواج ، زاعما ان من كان مثله لا يرضى بتقاليـد الناس وبما تواضعوا عليه من شرائع وسنن ، فهو كالنسر لا يرضى غير الفضاء ميدانا . اما من كان كميشلين فهو مـن الناس الذين هم كالدجاج يفتشون عن الديدان والاقذار . فيبدو جبران نعيمه لا يهتم بجسمه وشهوته وما ميشلين الا العوبة في يديه لا يبالي بها او بمصيرها او مصير جنينها الذي زرعه في احشائها ... وذلك واضح في وصف نعيمه لجبران ، بلسان ميشلين ، في ذلك الحوار الذي نقتطف منه ما يلي :

« اذا انا غذاء لجسمك لا اكثر ولا اقل ، انا مطيـة لشهواتك ، انا العوبة في يديك ... واقول لك انني اخشى شاهدا ما يزال « جنينا » ان يفضح امرنا فتجبيني الناس ثم تأمرني ان اكتم السر عن كل الناس وبالأخص عن رئيسـة المدرسة . وان اقضي على الشاهد قبل ان يحسن الشهادة » فيجيب جبران :

« سأقترن بك امام الناس حالما يتيسر لنا ما نظهر به بين الناس . اما المسألة الأخرى فتدبريها بحكمتك قبـل فوات الأوان » [1] .

---

١ ـ يراجع باب (خيالات بوسطن) من كتاب جبران خليل جبران الطبعة الاولى او الثانية .

(والمسألة الأخرى) هي مسألة قتل الجنين الذي يكرر جبران الامر بقتله ، ومن يقرأ الحوار برمته يشاهد كيف يزج نعيمه بجبران في مآزق لا منطقية يبدو فيها مغلوبا امام منطق ميشلين وصدقها ، تنهتك براقع الحيل التي يستتر بها غرضه الوحيد الذي هو مساكنة ميشلين دون الزواج منها ٠

ويبقي نعيمه جبرانه سادرا في غيه لا يرعوي الى ان تنتهي قصة علاقته بميشلين • ولعل ما يضع على لسانه من تقريع لنفسه ووصف لها ولانحطاطها الى درك الشهوانية والشناعة هو ما يعني به نعيمه صراع جبران مع نفسه لتنقيتها . ولنذكر كلام نعيمه ليبدو ما نقصده جليا « هي النهاية هي النهاية : لقد نحرت حبك على مذبح شهوتك يا جبران • انت مصاب بداء الكلام يا جبران • ولأنك تخجل من كل ما فيك من ضعف بشري تعكف عليه فتستره بحلة من الكلام الجميل والالوان البهجة • والكلام الجميل لا يرفع الشناعة الى مستوى الجمال والالوان البهجة لا تصبغ الضعف قوة • وقولك ان الحب هو الله لا يجعل الشهوة الجسدية الها ولا اللذة الحيوانية ناموس الحياة » •

اننا لا نرى في كلمات نعيمه التي ذكرناها صراع جبران مع نفسه لينقيها من كل شائبة بل نرى فيها اتهاما لجبران بأنه انحدر الى درك الشهوانية واللذة الحيوانية

والخداع ليستر ما فيه من خساسة • والا لماذا لا نرى في غراميات نعيمه نظير هذه القساوة على النفس ونظير هـــذا الحساب المر ؟

ولعل في حذف ما يتعلق بالحمل والاجهاض من الطبعة الثالثة فما بعدها . اقرارا ضمنيا من نعيمه بأنه يدين نفسه عندما يحاول ان يدين جبران مستعملا مقياسا آخر غـــير المقياس الذي قاس به نفسه عندما تكلم عن غرامياته هو في روسيا واميركا •

وكذلك نسي نعيمه في قصة ماري وجبران ان يبـــين صراع جبران مع نفسه ليتميها من الشوائب، فجبران في هذه القصة يستدر جيب ماري وعقلها وهـــو في نفس الوقت يستدر قلب ميشلين ولحمها ودمها • [1] • ويناجي نفسه في باريس ويعاتبها من اجل ذلك ولكن هذا العتاب هل كان صراع جبران مع نفسه الذي يتوخاه نعيمه او كان لاظهار جبران بسظهر ذلك الذي يبتز ويستدر جيب ملاكه الحارس ماري ! ان وصف نعيمه لماري ذلك الوصف الذي يجعل منها مسخا او عانسا شمطاء شوهاء يسعنا من ان نؤمن باية علاقة تقوم على الحب بين جبران الذي ينشد الكمال وبين مثل هذه المرأة • ولعل نعيمه الذي وصف تلك المرأة وصف

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ٩٧

يدعو الى التعوذ برب الفلق من شر ما خلق ــ لا يقصد من وراء رسم هذه الصورة الا نفي كل شعور بالحب والاعجاب في اساس العلاقة بين جبران وماري ، واظهار جبران بمظهر الطامع بالمادة الذي يعيش عالة على عاطفة عانس شمطاء .
نعم لقد تكلم نعيمه عن روح ماري هاسكل وعن شغف جبران بهذه الروح مما دعاه الى الهتاف مرة « يا ليت روح ماري في جسم ميشلين » [١] .

ولكن هذا الشغف بروح ماري يبقى باهتا ولا معنى له بعد التحدث عن ابتزاز جبران لجيب ماري وعقلها . وبعد جعل جبران يفكر بالزواج من ماري طمعا بمالها ومدرستها .
ثم بعد ذلك الوصف لروح ميشلين الذي يجعلها من الطف الأرواح وارقها . والذي لا يترك مبررا لهيام بروح غيرها .

ولكن نعيمه في قصة الفتاة الغريبة يظهر لنا صراع جبران مع نفسه ومحاسبته لها المحاسبة الأخيرة فيحس جبران ان نفسه كانت له خصما فانقلبت صديقا ويعقد معها الصلح الذي كان ينشده . ويقول نعيمه ان غايته من ذكر قصة تلك الفتاة الغريبة هي تقديره لكفاح جبران مع نفسه ، لذلك جعله في آخر الكتاب يعقد صلحا معها [٢] .

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ٩٣ .
٢ ـ سبعون ج ٣ ص ١٠٨ .

نعم ان نعيمه قد اظهر صراع جبران مع نفسه هذه المرة لينقيها من كل شائبة .. ولكننا مع ذلك نعجب اشد العجب كيف تكون قصة الفتاة الغريبة تدليلا على تقدير نعيمه لكفاح جبران في سبيل تنقية ذاته وهي تتحدث عن شهوانية جبران وتنكره لمثله وهو في مرض الموت وفي الاشهر الاخيرة من حياته ؟ وهل يكفي ان يحاسب جبران نفسه على خطيئته في تلك المرحلة من العمر لكي يستحق تقدير نعيمه وتكون القصة بمثابة تدليل على هذا التقدير ؟

وبكلمة واحدة ان نعيمه لم يظهر صراعا نبيلا بين جبران وذاته عندما اخبرنا عن علاقته بالنساء المختلفات ، بل اظهر ادانة له . فلقد جعل لمغامرات جبران ثمنا باهظا وبشكل خاص لمغامرته الاولى وهو الفتى في سن الرابعة عشرة من العمر ، بينما لم يجعل نعيمه لمغامرته هو اي ثمن .

ولذلك نرى ان نعيمه لم يستطع الالتزام بالمبدأ الذي اعلنه غاية من كتابه (جبران خيل جبران) وهو اظهار صراع جبران مع نفسه لينقيها من كل شائبة، بل كان يشوب تطبيق هذا المبدأ غمز لقناة جبران وتحامل عليه .

التساؤل الثالث

هل ابتغى نعيمه اظهار اثر المرأة في ادب جبران كما سبق واظهر اثرها في ادبه هو . جريا على سنَّة كتاب السيرة الذين يذكرون المرأة التي أحبها الأديب ليبينوا اثرها في ادبه وفنـــه ؟

الجواب مؤسف للغاية وهو كلمة واحـــدة بالنسبة (للملاك المزيف والفتاة الغريبة) وهي : كلا .

اذ اننا لا نشاهد اثرا لذلك في القصتين . اما بالنسبة لميشلين فكل ما يقوله نعيمه ان جبران استوحى من قصة حبهما قصته التي هي بعنوان (رماد الاجيال والنـــار الخالدة) [1] .

اما عن ماري فلا يقول الا ان جبران قد قبلته ماري عند عودته بقبلتها التي دعاها في احدى مقالاته «مريسية» [2]. وانه خاطبها في مقاله « الطفل يسوع والحب الطفـــل » هكـــذا :

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ٨٩

٢ ـ م.ن. ص ١٢١

« ففي ليلة واحدة ، بل في ساعه واحدة ، بل في لمحة واحده تتنحى عن سني حياتي ، لانها اجمل من سني حياتي. هبط الروح من وسط دائرة النور الأعلى ، ونظر الي من وراء عينيك ، وتكلم معي بلسانك . ومن تلك النظرة وهاتيك الكلمة انبثق الحب وحل في اعشار قلبي ... » [1].

وهناك اشارة الى مساعدة ماري في تنقيح كتاباته الانكليزية [2] . وبالطبع لا يمكننا ان نغفل مساعدة ماري المادية لجبران ولكننا هنا في صدد الحديث عن اثر المرأة في ادب جبران وانعكاسها في مرآة هذا الادب ، ورؤية العالم من خلالها وجعلها محورا للتفكير وينبوعا للالهام .

وقد يقول قائل هذا يكفي تدليلا على اثر ميشلين وماري في ادب جبران . ونجيبه بان حديث نعيمه عن هذا الاثر لا يكاد يتبينه الا القارىء المتسعن البحاثة ، وهذا دليل على ان هذا الاثر لم يكن الهدف من وراء سرد علاقة جبران بالمرأة . ونزداد اقتناعا بذلك لو قرأنا مثلا غراميات نعيمه وعلاقته بالاميركية (بيلا) ــ التي اثبتناها قبل مناقشة علاقة جبران بالمرأة من اجل هذا الغرض بالذات ــ قصد قراءتها

---

١ ــ (جبران خليل جبران) ص ١٢٥
٢ ــ م.ن. ص ٢٢١

ومقارنتها بغراميات جبران التي يذكرها نعيمه ــ وقارناها بغراميات جبران •

اذ ان اثر المرأة على انتاج كل منهما سيظهر واضحا وسيظهر كبيرا لدى نعيمه وطفيفا خفيفا لا يعتد به لـــدى جبران •

هل كان جبران نبا كاذبا ؟

لقد روى نعيمة عبارة « انا نبأ كاذب I am a false alarm » وشرح معناهـا وفسرهـا بانهـا اعتراف من جبران بحقارته النفسية وتصوير منه لنفسه بصورة الخداع الحقير . ولقد وصف نعيمه الظروف التي كانـت تحيط بجبران عندما قال كلمته تلك ، من شلال مهيب يضعك امام العزة الصمدانية وجها لوجه فيدفعك دفعا الى التعري وطرح كل ما يغطي حقيقتك من ثياب زائفة ، ومن جلـد جبران لنفسه بدون رحمة بعد اعترافه ذاك ، ليدلل نعيمه بذلك على ان العبارة اعتراف صريح من جبران الذي هاله انخداع الناس به وهالته ضآلته وزيفه .

ولكن بربارة يونغ Barabra Young توردها بشكل يختلف كل الاختلاف عمـا رواه نعيمه فالعبارة كمـا يلي « انا انذار كاذب ، لست ابدي دخيلتي كما اشتهي » .

«I am A False Alarm , I do not ring as true as I would. » واكملت شرحها بان جبران كان لا يرضى عن نفسه الا اذا رآها في اعلى مستوى للكمال . فلقد شعر جبران امام الشلال

انه مقصر في عمل كل ما ترتجي السماء منه .[1] وهـذا يعني انه شعر بانه مرشح للقيام بشيء جليل كل الجلال عظيم كل العظمة حدثه الشلال عنه بلغته التي تفهمها قلوب الشعراء الحساسة فشعر بانه مقصر دون ما يبتغي الوصول اليه ... بينما يظن الناس انه وصل الى الذروة من العظمة في الفن والكتابة ، مقصر في وصف ما يريد ان يصفه وفي اذاعـة اسرار الكون التي يهمس بها ذلك الشلال وفي سكب المشاعر التي اترعت قلبه حتى الفيضان في شلالات غزيرة تشبه هذا الشلال الماثل امامه . تصل الى الابعد وتروي الجميع .

انه اعتراف يعبر عن شوق لا نهاية له الى الابداع ، لا يجول الا في قلوب الكبار مـن الشعراء والفنانـين والمفكرين . وكل من يعاني من الكفاح في سبيل مثل اعلى يجلد نفسه مرات عديدة في اليوم الواحد ليحثها على المسير ولا يرضيه عمله ولا يرضى عن نفسه بل دائما تراه متعلقا كالصوفي برؤاه البعيدة ، زاهدا بكل ما وصل اليه ، لا يراه غير نقطة في البحر الذي يريد ان يمخر عبابه ويصل الـى شواطئه المسحورة . ان كلمة جبران كما روتها بربارة تدل على نفس كبيرة وعلى توق انساني قتال الى القيام بجلائل الاعمال . ولو ان كلمة جبران كانـت كما رواهـا نعيمه

---

١ ــ هذا الرجل من لبنان ص ٤٦ .

بالضبط . فهي لا تدل هذه الدلالة التي يشرحها نعيمه . فالشيء المنطقي الذي نجد له جذورا في شعورنا ، هو ان تفيض الدموع من عيوننا في لحظة من اللحظات المثيرة التي نعاني فيها من الشعور بوطأة السباق مع الزمن ومن الشعور بوطأة الخوف من ان لا نحقق مثلا نبيلا او عملا جليلا فنلتفت الى اقرب الناس الينا وننعت انفسنا امامه باقبح النعوت .

واعتقد ان هذا ما فعله جبران بالضبط . ولكن جبران الشاعر المرهف النقي السريرة كالطفل ، المنفعل حتى البكاء لم يجد في نعيمه نفسا حساسة تفهم نفسه وتواسيه في تلك اللحظة القاسية عليه وتحتويه كحضن رؤوم حنون . بل وجد في نعيمه نفسا حذرة مترقبة تنتظر لحظة من لحظات الضعف منشؤها النبل والسمو لتقدم لنا دليلا على خسة النفس الجبرانية ونفاقها :

« ان جبران لم يخجل من كل ما تخبأ في نفسه من ضعف تردى برداء القوة ، وتصنع امتسح بمسحة الجمال ، وشهوة نهمة بدت كأنها العفة الصائمة ، فرأى نفسه نبأ كاذبا . وهاله ان يكون ذلك النبأ في حضرة الطبيعة التي لا تعرف الكذب ، ولا الغش ، وهاله اكثر من كل ذلك ان يكون صديقه الماشي بجانبه ممن صدقوا النبأ . فلم يتمالك من الاعتراف له » [1] . بل انه شعر بضآلة ما قدمه الى العالم بالنسبة الى ما يجيش في نفسه ويملأ حناياه . واعترافه

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٩٦

نوع من العبقرية الظامئة الى الظهور والتي لم يتح لها بعد ان تظهر كما يشتهي صاحبها ، ونوع من الشاعرية التي تقترب بصاحبها من تخوم دنيا الطفولة فتجعله يعري نفسه بدون تحفظ او خجل او مبالاة .

ويفسر فيليكس فارس كلمة جبران [1] . I am a false Alarm تفسيرا آخر معقولا اذ يقول ان كلمة Alarm تعني الانذار ويصبح معنى كلمة جبران حالئذ : انا انذار كاذب . ومعنى الكلمة يتساوق وينسجم مع ما تقدمها من رواية نعيمه لها ، اذ يخبرنا نعيمه انه وجبران كانا يتحدثان في قطعة قرأها جبران له عن المحبة وقال انها ستكون الاولى من سلسلة قطع على شاكلتها ينوي تأليفها ونشرها في كتاب سيدعوه (النبي) وكان سبق لنعيمه ان ابدى اعجابه لجبران بتلك القطعة وارتياحه لانتقال جبران من التمرد على الناس وحياتهم الى تفهم اسرار تلك الحياة وكشف ما فيها من جمال . وبينما هما في هذا الحديث اذ يقف جبران فجأة ويقول : انا نبأ كاذب .

فالعلاقة واضحة بين هتاف جبران والحديث الذي تقدمها . فجبران الذي كان يرى شرور العالم فيتوعد ويقف نذيرا للناس في المرحلة التي تأثر فيها بنيتشه وسبقت النبي

---

١ ـ رسالة المنبر الى الشرق العربي من صفحة ٢١٦ حتى ٢٢١ .

كان قد انكشفت امامه افاق جديدة في روح الانسانية .
بعد تلك المرحلة ، وكانت اول زهرة من ازاهر كتاب النبي
قد تفتحت في خياله وهو يتسلص رويدا من عواصف مرحلته
السابقة، فأحس بان النذير فيه اوشك انينقلببشيراه وكأن
النزهة التي قام بها ومشاهدها الخلابة قد ارسلت نسمة من
صدر الطبيعة الى صدر جبران فبدأت تتفتق فيها الازهار
التي سيملأ بها فيما بعد صفحات كتابه النبي •

لقد ايقن جبران آنذاك انه لم يكن نذيرا يرعد ويزبد
ويهدد الضعفاء كنيتشه بل هو بشير يبشر بالمحبة ورسول
يحدث عن السلام •

ان تفسير فيليكس فارس يبدو منطقيا في ضوء العقل،
ولكن الكلمة كما رواها نعيمه في ضوء العاطفة والشعور
ولدى من لا يستعبدهُ الحرف ولدى من اخذ من الفن
والشاعرية بنصيب دليل على مرارة العبقري اذ يشعر بعظم
الهوة التي تفصل بين ما حققه وما يشتاق الوصول اليه •
ونرى ان التفسير الشاعري الذي اعطته بربارة اقرب الى
روح جبران الشاعرية والى مأساته كفنان يريد ان يسبقه
الزمن ويخشى ان ينكفىء دون مثله الأعلى عاجزا مقهورا •

وفي كل الاحوال يبدو تفسير نعيمه تجنيا على جبران
واشرافا عليه من عل •

هل قلد جبران نيتشه في (النبي) وعمل بشكل يناقض محتوى هذا الكتاب ؟

يقول نعيمه عن كتاب (النبـــي) « ولكنه ــ ويـــا للاسف ــ لم يكن كله من صياغة جبران . فشكله الاجمالي مستعار من نيتشه وزرادشته . فكأن جبران الذي تخلص من سطوة افكار نيتشه لم يتخلص من سطوة اساليبه البيانية والفنية . » .

وحجج نعيمه في ذلك هي التالية : ان نيتشه اتخذ نبيا بوقا لافكاره وجبران اتخذ نبيا دعاه المصطفى .

زرادشت نيتشه يصعد جبـــلا ومنه يخاطـــب البحر ومصطفى جبران يعود الى الجزيرة التي هي مسقط رأسه .

زرادشت نيتشه يصعد حبـــلا ومنه يخاطـــب البحر ومصطفى جبران يصعد هضبة خارج اورفليس ومنها يخاطب البحـــر .

وهنالك شبه بين جملة يقولها زرادشت وجملة يقولها المصطفى (اوردناهما في الفصل السابق) وهذه هي كل الحجج التي دعت نعيمه لجعله يتأسف ويقول ان شكـــل

(النبي) الاجمالي مستعار من نيتشه •

الحق يقال ان القالب النيتشوي نفسه مستمد من جو الأنجيل فلزرادشت انقطاع عن العالم كانقطاع المسيح وله جبل يتجلى عليه واتباع يتبعونه ، وله عشاء سري يجمع فيه اتباعه حوله ، فلماذا لا تكون الهضبة التي صعد عليها المصطفى مماثلة للجبل الذي صعد عليه المسيح ؟ قد يقال ان هناك فكرة العودة وهي موجودة لدى نيتشه وليست موجودة في الانجيل • ولكن فكرة العودة هي من صميم حياة جبران فكما يقول نعيمه نفسه دون ان يشعر بالتناقض « ما اورفليس التي كان فيها غريبا يترقب رجوع سفينته الا نيويورك او اميركا ••• وما الجزيرة التي كان يشتاق العودة اليها غير لبنان » • تبقى حجة نعيمه الثالثة وهي ان نيتشه اتخذ زرادشت بوقا لافكاره وجبران اتخذ المصطفى• وهذا من الغرابة بمكان لانه هل يمكن للبطل ان يكون غير المؤلف فكرا ولسانا ؟ •

اما التشابه بين كلمة واحدة لجبران واخرى لنيتشه فهو مما لا يعول عليه ، [1] •

---

١ ـ ما اكثر الكلمات التي قالها نعيمة والتي تماثل كلمات جبرانية وردت في مؤلفات لجبران سبقت مؤلفات نعيمه التي وردت فيها الكلمات المماثلة لكلمات جبران .

واننا انعجب كيف يرى نعيمه « تشابها فائق الحد » بين نظرات جبران وبين آثار بعض الصوفيين وكرازة بعض الانبياء والرسل ، ثم يطلب الينا ان لا نقول ان جبران قد نقل ما ليس له لانه « تناوله بخياله من حيث تناوله من قبل ويتناوله اليوم كل خيال انعتق مـــن كابوس المقاييس والموازين [1] .

فاذا كان الامر كذلك لجهة المعنى فلماذا لا يكون الامر نفسه من جهة الصياغة ؟

ولا يكتفي نعيمه بان يأخذ على جبران تأثره بنيتشه من ناحية الصياغة، فهو يشدد على مأخذ آخر هو ان جبران برأيه قد خلع على نفسه وشاح النبوءة عندما خلعه على مصطفاه. وانفاتحة الكتاب وخاتمته تؤديان الىهذا المعنى ، وذلك ما اداه الى اذهان اولئك الذين كتبوا فوق ضريحه « هنا يرقد نبينا جبران » ثم غيروا كلمة (نبينا) الى (بيننا) .

ولقد قرأت النبي عشرات المرات فلم اجد ما يدل على رأي نعيمه . نعم ان ظروف حياة المصطفى تشبه ظروف حياة جبران من حيث الغربة عن الوطن والعودة اليه ولكن هذا لا يدل الا على استيحاء جبران لظروف حياته كما يستوحي

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ٢١٧ .

كل فنان صادق ظروفه واوضاعه ومشاعره الخاصة . ولا يدل بشكل من الاشكال على ان جبران قد صور نفسه نبيا او ان غاية جبران ان ينصب نفسه في اذهان القراء نبيا من انبياء الشرق له ما للانبياء من قداسة وكرامة .

وهل يخلع على نفسه وشاح النبوءة من لا تنقصه فضيلة التواضع التي يعبر عنها في مثل قوله :

وعظتني نفسي فعلمتني ان السراج الذي احمله ليس لي ، والاغنية التي انشدها لم تتكون في احشائي ، فأنا وان سرت بالنور لست بالنور ، وانا وان كنت عودا مشدودا الاوتار فلست بالعواد » (المجموعة العربية ص ٥١٩ دار صادر ١٩٦٤) .

واننا لنتساءل كيف يستنكر او يستكثر نعيمه ان يؤدي الكتاب الى التصور بأن جبران نبي او ما يشبه النبي ولا يستنكر او يستكثر ان يقول هو نفسه اقوالا تؤدي الى انه (اي نعيمه) الله ذو الجلال والقدرة ، اسمع اليه يقول : « فحينا اسأل نفسي : « من انت يا نفسي ؟ » فأراها في كل شيء وارى كل شيء فيها . وانتهي الى انها والله واحد . ولكنني لا اجرؤ ان اجاهر بذلك » [١] .

---

١ ــ (سبعون) ج٢ ص ١٦٣ .

اليس يعني ذلك مرة بعد مرة ان نعيمه قد نصب ميزانا لزميله جبران غير الميزان الذي نصبه لنفسه ؟•

ان جبران لا يسلم من مبضع نعيمه الجائر حتى في قمة آثاره الادبية الذي هو (النبي) • ويستمر نعيمه في محاسبة جبران ويضع هذه المرة كتاب النبي دستورا لمحاسبته ومقاضاته ، فيرى ان جبران قد أدى في النبي شهادة في نفسه تكاد تكون الكمال بعينه، ومن يشهد مثل هذه الشهادة عليه ان ينسى ذاته الفردية ليجدها في الذات العامة، وان لا يملك شيئا لان كل شيء له • ولذلك فنعيمه يلوم جبران لانه ساهم في شراء بناية وتأجيرها ولا يرى غير اللوم يصبه على جبران في معرض الحديث عن تلك المعاملة العقارية التي استنزفت كل ما جمعه جبران • وفي رأيه ان جبران قد نصب نفسه اماما ولكنه لم يبدأ بتعليم نفسه ، وان جبران يعزي نفسه بأنها قاصرة لا بد لها من العودة الى الأرض لتتغلب في دورات تالية على ما استعصى عليها •

وقصة هذه البناية ترد لدى بربارة يونغ بشكل آخر ، فهي لدى بربارة برهان على تشبع جبران بروح النبي لا برهان على تناقضه مع التعاليم التي بثها في ذلك الكتاب• فهي تتحدث عن امرأتين لهما علاقة بتلك المعاملة العقارية وكان على جبران ان يقاضيهما او ان يخسر المال كله ، فجاءت

احدى المرآتين وهزت كتاب النبي في وجه جبران قائلـة :
« انت صاحب هذا الكتاب فماذا انت عازم ان تفعل ؟ »
وعندئذ كف جبران عن مقاضاة المرآتين وخسر المال كله
وكتب بعد ذلك بأناة على قصاصة ورق • « دع الذي يمسح
بردائك يديه الملطختين يأخذ رداءك فلعله يحتاجه ثانية» [1] •

فشتان بين القصتين قصة نعيمه وقصة بربارة •

واننا لواجدون نعيمه هنا ايضا يقيس بمقياسين ويزن
بميزانين فجبران لم يعمل في حياته الا في الكتابة والرسم ،
ولم يحب شيئا كالكتابة والرسم ، لا العمل في التجارة او
الوظائف ولا المال ولا المرأة شريكة في حياته ، لانه يريد ان
يهب حياته كلها للكتابة والرسم • فهو المخلص لأدبه وفنه
وليست حياته الا أدبه وفنه •

ولقد ظل يعاني الوانا من خشونة العيش وضنك الحاجة
حتى ١٩٢٠ اي حتى سن السابعة والثلاثين « اذ استعاض

---

١ ـ ولا يكتفي نعيمه بهذه الحادثة يوردها عن مضاربة جبران بالاطيان ابتغاء الربح وباستنكاره لها بل هو يعززها بحادثة اخرى يرويها في كتابه سبعون . اذ يتهم جبران بالبخل عندما يطلب منه ثلاثة الاف ريال من اجل السائح فلا يدفع جبران (سبعون) ج٢ ص ٢١ ٢. ولقد روى لي نعيمه هذه الحادثة المذكورة في سبعون ليقول لي بعدها انه عجن جبـران وخبزه . يراجع ايضا كتاب هذا الرجل من لبنان ص ٥٨ .

عن نور الغاز بنور الكهرباء وعن وجاق الحطب بوجاق من الغاز » [1] .

ولم يفكر لحظة بان يترك فنه الى عمل آخر « ولم يكن البيع هدفه ولا الشراء مرامه » [2] . وانما نعيمه هو الذي عمل بالتجارة وفي ميدان الوظيفة فكان جبران والحالة هذه المخلص لفنه الزاهد بكل شيء سواه ، واذا ما ساهم في شراء بناية ذات يوم ايعتبر ذلك منه خروجا على تعاليم (النبي) ؟ وهي تلك التعاليم المثالية المستقاة من ينابيع المسيحية والبوذية والصوفية التي يشاهدها المرء في نهاية الطريق الطويلة ، ولا يستطيع الوصول اليها في حال من الاحوال . بل يبقى دأبه السعي لادراكها والسير في اتجاهها . ثم اليس نعيمه مطالبا كجبران وهو الذي يستقي معه من ينبوع فكري واحد بان لا يملك شيئا لان كل شيء له ؟ فلماذا اذن يبني بيتين احدهما في الشخروب والآخر في بسكنتا ؟ اليس الأفضل ان نقول ان مثل هذه المثاليات في كتاب النبي لا يدان بها جبران كما لا يدان بها نعيمه ولا زيد من الناس بدلا من ان ندين بها جبران بهذا التسرع وهذه اللامبالاة ؟

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٧٢

٢ ـ (هذا الرجل من لبنان) ص ٥٨ .

السبب الكامن وراء تحامل نعيمه على جبران

بعد ان ظهر التحامل على جبران في كتاب نعيمه عنه واضحا للعيان تتساءل : لماذا كان هذا التحامل ؟ لم نكن مع الاديبين ولا ندري ما نوع العلاقة التي كانت تربطهما هل هي محض الود او شيء آخر ، ولا نستطيع ان نأخذ برأي ادباء لم يرافقوا هذين الاديبين ولم يكونوا منهما على قرب كاف يمكنهم من الاطلاع على نوع العلاقة بينهما .

فاذا رأى الاستاذ عيسى الناعوري « ان العلاقات بين جبران ونعيمه ــ على الرغم من زمالتهما وصداقتهما الظاهرة مدة طويلة ــ لم تكن قط علاقات « مودة وثقة » اكيدتين ، وأن جبران كان ابعد من ان يبوح لنعيمه بخبيئة من خبايا نفسه وعلاقاته الجنسية ــ هذه العلاقات التي مات خبرها في صدر جبران ودفنت معه ، وكل ما اورده نعيمه منها هو من صنع الخيال البارع » [1] .

نقول اذا رأى الاستاذ الناعوري مثل هذا الرأي لا

---

١ ــ مجلة الاديب السنة الثانية عشرة الجزء الثاني ص ٦٥

نستطيع ان نأخذ برأيه على انه البرهان على نوع العلاقة بين الاديبين . فهو لم يعاصر الاديبين وانما هو يستنتج ذلك من مجمل ما اثير حول كتاب نعيمه من نقد عنيف واتهام لنعيمه بعدم الوفاء لصديقه [1] .

ولكن عندما تتحدث كاتبة عاشت السبع السنوات الاخيرة مع جبران وكانت القابلة التي تلقت يداها كل ما انتج في هذه الفترة، تكون لشهادتها قيمة . فهي تتحدث عن نعيمه على ما يرجح الجميع دون ان تسميه قائلة في معرض حديثها عن الرابطة : « اما احدهم وهو الذي سيظل غير مسمى فقد ترك الايمان » [2] .

« One who shall Be nameless , has departed from the faith »

ولكن الذي يعطينا الضوء الكاشف ليس رأي الاستاذ الناعوري ولا رأي السيدة بربارة وانما الرسائل المتبادلة بين جبران وماري ومذكرات ماري التي كان يصارحها جبران برأيه في كثير من زملائه . فهو يقول عن الحويك مثلا : (انه

---

١ ـ فهو حين نشر مقاله لم يكن قد اطلع بعد على كتاب (سبعون) المنشور سنه.١٩٦ ولا على كتاب اضواء جديدة على جبران المنشور سنة١٩٦٦

٢ ـ هذا الرجل من لبنان صفحة ٧٠.

ليس رساما عظيما) [1] • ويقول عن الريحاني : (يرى جداره ويدغعه برأسه ويظل يدفش به بقوة الى ان يتحطم رأسه او يتحطم الجدار) [2] • ويقول عن نعيمه شيئا يستلفت النظر اذ يجعلنا نعرف رأي جبران في نعيمه فلقد ورد (في مذكرات ١٩٢٤ : كان جبران وماري يخططان لكتاب يضم مقالات لكتاب مختلفين عن جبران — وعرض عليها جبران مقالا بالانكليزية كان قد كتبه الاستاذ نعيمه عنه وعن نتاجه — تقول ماري : « وقررنا الا نستعمل هذا المقال » ••• وقال لها جبران : « ان في كل شاعر شيئا خاصا به — شيئا يجعله فريدا — عنصرا فرديا فيه — هو ينبوع نتاجه الخلاق وتعبيره الحق • وليس في مقال نعيمه شيء يوحي بوجود ذالك » [3] •

اذن فجبران الذي يرى في العنصر الفردي الشخصي ينبوع النتاج الخلاق يجرد نعيمه من هذا العنصر ويرفض ان يستعمل مقاله • ومهما كان جبران في رأيه هذا مصيبا او مخطئا فان هذا الرأي يدلنا على ان جبران لا يحمل لنعيمه ذلك التقدير والاعجاب • الامر الذي يؤكد ان العلاقة بين الاديبين لم تكن ودا محضا •

---

١ — اضواء جديدة ص ١٩٠

٢ و ٣ — اضواء جديدة ص ١٩٠ — ١٩١

وهناك شيء آخر يؤكد ان العلاقة بين الاديبين لم تكن ودا محضا وثقة متبادلة فلقد زار نعيمه صومعة جبران بعد وفاته بدعوة من بربارة وبدأ يفرز بعض الرسائل من جبران واليه وعثر على رسائل من مي الى جبران ومنه اليها فوضعها جانبا على ان يعود في الليلة التالية . وعندما عاد فاجأته بربارة بانها تلقت رسالة من مريانا تسألها فيها ان يتركا اوراق جبران وشأنها الى وقت آخر . ويقول نعيمه «ان الذي سمعته في تلك الليلة كان كافيا لحملي على نفض يدي من مخلفات جبران ، ومنع رجلي من ان تدوس ارض المحترف فيما بعد » (١) .

ان في هذه الرواية مظهرا آخر لعدم الثقة بنعيمة من قبل اخت جبران مريانا ، وقد يكون عدم ثقتها به امتدادا لعدم ثقة جبران به ايضا فمريانا « تعرف الكثير عنه من جبران » (٢) .

وهناك شيء ثالث يؤكد ان العلاقة بين الاديبين لم تكن ودا محضا وثقة متبادلة هو قضية الوصية . فنعيمه يخبرنا انه زار جبران في اوائل سنة ١٩٣١ وهي سنة وفاة جبران ــ وبعد قراءة في مخطوطة الهة الأرض والتأمل في الرسوم التي اعدها لها جبران، وبعد فترة من السكوت قال

١ ــ يراجع (سبعون) ج٢ ص ٣٠٨

٢ ــ (جبران خليل جبران) ص٢٦٤

جبران : « ميشا لقد ذكرتك في وصيتي » [1] .

ومات جبران وظهرت وصيته وهي منشورة في ملحق كتاب نعيمه عن جبران ولا ذكر فيها لنعيمه . ولنتساءل كما تساءل نعيمه عن الوصية التي يقول انه ذكر فيها ولم يظهر لها اي اثر « اتراها ما برحت في ذمة جبران ؟ اهي في ذمة الزمان ؟ اهي في ذمة بعض الناس » ؟ الجواب : لا ندري . ولكن الذي ندريه هو ان اختفاء الوصية يدل على ان هنالك شيئا يعكر صفاء الجو الذي يحيط بنعيمه وجبران ومريانا .

ونعتقد ان تغير الود وضعف الثقة بين الاديبين ليست وحدها السبب في تحامل نعيمه على جبران بل ان هناك سببا آخر هو طمع نعيمه بمركز جبران الادبي . ودليلنا على ذلك هو مركز الهيمنة الذي يعطيه نعيمه لنفسه في كتاب جبران . فهو تارة يخاطب جبران بكلمة (يا شيطان) [2] . وتارة يقوم بوظيفة استاذ لجبران في العروض والنحو [3] . وتارة يبدي له ارتياحه اذا توجه نحو المحبة تاركا التمرد على

---

١ - (جبران خليل جبران) ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

٢ - م.ن. ص ١٥٨ . فمثل هذه المخاطبة من مركز الهيمنة تظهر في مطلع رسالة وجهها نعيمة الى جبران يبدؤها بعبارة عزيزي جبرون . ويقول معلقا على العبارة في الهامش كنت ادعوه احيانا جبرون واحيانا جبور واحيانا جبران سبعون ج٢ ص ٢١٨ .

٣ - م.ن. ص ١٦٤

الناس فكأنه موجهه في طريق المحبة [1] • وهو لا ينفك يسدي اليه الوصايا المختلفة كأن يقول له : « امن العدل يا جبران ان تلوم الناس ••• ام من العدل ان تتطلب منهم ما لا تتطلبه من نفسك ؟ انت تطلب ان يفهمك الناس • وقد يكون انهم لا يفهمونك لانك لا تفهم نفسك • فهل انت واثق من فهمك لنفسك ؟ » [2] •

ويتألم نعيمه لان اناسا لا يؤمنون بنزاهته حينما يتحدث عن جبران ويعجب كيف يصدقون بربارة وهي التي تورد في كتابها المخرقات عن جبران وتجعل منه واحدا من انصاف الالهة الذين يشرفون الأرض من حين الى حين [3] •

ولقد اعلن لي نعيمه عن المه بسبب عدم تصديقه عندما زرته وقال لي : « يقولون انني طامع بمركز جبران الادبي • فلماذا اطمع ؟ الا يستطيع الادب ان يتسع لكلينا ؟ » • وكان يبدو عليه الحماس الشديد وهو يقرأ لي مقاطع من كتاب

---

١ ـ (جبران خليل جبران) ص ١٩٤

٢ ـ م.ن. ص ١٨٢ ـ ويحاول نعيمه حتى في ميدان الرسم ان يتساوى بجبران وتظهر لديه محاولات للفوز برضى جبران على بعض صوره (راجع سبعون ص ٢٩٢ و ٢٩٣) وهناك نقد يوجهه نعيمه لرسوم جبران في كتاب النبي اذ يقول عن رسومه : فيها نعومة تبلغ درجة الاسترخاء ...

٣ ـ سبعون ، ج٢ ، ص ٣٠٩

بربارة ليدلل على ان من يكتب مثل هذه المخرقات هو الذي يجب ان لا يصدق .

واني لأوافق على ان في كتاب بربارة عن جبران الكثير من المخرقات التي لا تصدق والتي تدني من مستوى كتابها وقيمته ككتاب للسيرة . ولكنني اجيب الاديب الكبير نعيمه بما قلته له حينذاك : ان الوقائع امامنا كما قرأت لك بعضا منها فأجبني على اية واقعة منها بما يبرهن عكس ما اذهب اليه فأكون لك من الشاكرين . ولم يأت جواب من الاستاذ نعيمه مع انه حدثني طويلا بلطف بالغ وبترحيب يكاد يبكي لعذوبته ، وفي مقابلات ثلاث وقرأ لي من هنا وهناك ولكن لم يكن في حديثه وفي كل ما قرأ لي ما يمكن ان يساعدني على التوجه في غير هذه الوجهة التي اظهرت ان نعيمه قد تحامل على جبران في كتابه عنه ولم ينجح في ان يلتزم بغايته التي اعلنها في مقدمة كتابه حين قال اردت ان اظهر صراع جبران مع نفسه لينقيها من كل شائبة . بل اظهر لنا نفسه يقيس بمقياسين ويزن بميزانين ويدين اخاه وصديقه مخالفا دستور المحبة الذي اعلنه في كتابه (مرداد) حين قال : « لا تطلب حسابا من المحبة فالمحبة لا تحاسب غير ذاتها وهي لا تدين » [1] .

---

١ ـ مرداد صفحة ١١٢ .

مصادر ومراجع

المؤلفات الجبرانية :

المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (العربية)
بيروت ــ صادر سنة ١٩٦١ .

المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران
(المترجمة عن الانكليزية بيروت ــ صادر سنة ١٩٦٤ .

كتب خاصة بجبران :

داود سليمان بابل ــ جبرائيل الشاعر ــ الموصل ،
١٩٤٥ .

شكرالله الجر ــ نبي اورفليس ــ البرازيل ، مطبعة
الأندلس الجديدة ١٩٣٩ ،

جميل جبر ــ مي وجبران ــ بيروت ، دار المكشوف ،
١٩٥٠ .

امين خالد ــ محاولات في درس جبران ــ بيروت ،
المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٣ .

محيي الدين رضا ــ في موطن جبران خليل جبران ــ
القاهرة ١٩٥٠ .

امين الريحاني ــ ذكرى جبران ــ بيروت دار صادر
١٩٣٢ .

ميخائيل نعيمه ــ جبران خليل جبران : حياته ، موته، ادبه ، فنه ، بيروت ١٩٣٤ .

جميل جبر (رسائل جبران) بيروت ١٩٥٥ .

بربارة يونغ هذا الرجل من لبنان ــ بيروت ١٩٥٣ .

انطوان كرم (جبران الخالد) (تأثراته وتأثيراته) محاضرات الندوة ١٩٥٦ .

انطوان كرم « محاضرات عن جبران خليل جبران » القاهرة ١٩٦٤ .

جوزيف شيبان ــ مرايا النفس ــ نيويورك ١٩٦٥ .

توفيق صايغ ــ اضواء جديدة على جبران ــ بيروت ١٩٦٦ .

حبيب مسعود ــ جبران حيا وميتا ــ بيروت ١٩٦٦ .

عيسى الناعوري ــ ادب المهجر ــ القاهرة ١٩٥٩ .

كتب تناولته بالبحث :

سهيل ادريس ــ القصة في لبنان ــ القاهرة ١٩٥٧ .

عبد الكريم الاشتر ــ النثر المهجري ــ القاهرة ١٩٦٠ .

رئيف خوري ــ الفكر العربي الحديث ــ واثر الثورة الفرنسية في توجيهه . بيروت ١٩٤٣ .

جورج صيدح ـ ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ـ بيروت ١٩٥٧ ٠

احسان عباس ومحمد يوسف نجم ـ الشعر العربي في المهجر ـ بيروت ١٩٥٧ ٠

محمد عبد الغني حسن ـ الشعر العربي في المهجر ٠

سعد ميخايل ـ شعراء الشام والعراق ومصر ٠

صلاح لبكي ـ لبنان الشاعر ٠

مارون عبود ـ جدد وقدماء بيروت ١٩٥٤

فيليكس فارس ـ رسالة المنبر الى الشرق العربي ٠

روز غريب ـ جبران في آثارة الكتابية ـ بيروت ١٩٦٩ ٠

احمد ابو حاقة وجوزيف الهاشم ... ـ المفيد في الادب العربي ـ بيروت ١٩٦٩ ٠

مقالات المجلات العربية :

يوسف ابو رزق ـ ناسك الشخروب فوق الغايات والاهواء ٠ المكشوف عدد ١١٩ ٠

جبران ونعيمه سراجا منارة واحدة ـ المكشوف عدد ١١٩ ٠

الياس ابو شبكة ــ المحبة في نبي جبران وزرادشت نيتشه ــ مجلة العصبة ٥ ــ ١٩٣٩ ٠

الياس ابو شبكة ــ جبران خليل جبران في مدرسة الحكمة ــ المكشوف ، عدد ١٨٧ ٠

الياس ابو شبكة ــ جبران الشاعر ــ مجلة الاصلاح ٣ ، ١٩٣١ ٠

رشيد ايوب ــ الى روح جبران ــ الحديث ٥ (حلب) ٠

فؤاد افرام البستاني ــ على ذكر جبران : معلومات جديدة عن حياته وآثاره ٠ جبران وبربارة ٠ بربـارة في قبر جبران ومتحفه ٠ محاولات الكاتب والفنان ٠ آراؤه في شؤون مختلفة ــ مرضه ووفاته ــ المشرق ٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٦٨

يوسف البعيني ــ جبران كما يحدثنا عنه عبد المسيح حداد ٠ مجلة العصبة الاندلسية سنة ١٩٤٨ عدد ٤ و ٥ و ٦ ٠

جميل جبر ــ جبران خليل جبران ــ مجلة الحكمة ٢ عدد ٨ و ٧ ٠

شكرالله الجر ــ جبران خليل جبران ملهم الادباء ــ المكشوف عدد ٣٠٩

رئيف خوري ــ جبران خليل جبران بمناسبة الذكرى

السادسة لوصول جثمانه الى لبنان ــ الطليعة ٣ : ٢٠٧ .

حبيب جاماتي ــ المرأة في حياة جبران ــ الهلال : ١٩٤٧ : ٩٧

فيليب حتي ــ مقام جبران في الأدب العصري ــ المقتطف ٧٤ : ١٠٣ .

حليم دموس ــ تحت ظلال الخلود (قصيدة) ــ مجلة الضاد ٤ / ١٥٥

عدنان الذهبي ــ الرمزية في ادب جبران خليل جبران ــ الاديب ١٠ ، عدد ٣ ــ ١٩٥١ .

امين الريحاني ــ ذكرى جبران ــ المقتطف ٧٩ : ١٩٨

رسائل جبران خليل جبران الى جميل المعلوف ــ الاديب ١٠ ، عدد ٥ ــ ١٩٥١ .

مارون عبود ــ ما بين مي وجبران ــ المكشوف . عدد ٣٤٣ .

جبور عبد النور ــ جبران واللغة العربية ــ مجلة الحكمة ، ٣ ، عدد ٨ حزيران ١٩٥٤ .

عباس محمود العقاد ــ جبران ... نصف درويش ــ مجلة الاندلس الجديدة .

سامي الكيالي ــ جبران خليل جبران ــ صاحب المعول الاول في الادب العربي القديم ، الحديث ٥ ، ص ٤٦١ ٠

ابراهيم عبد القادر المازني ــ جبران خليل جبران ــ مجلة الكتاب ١ ، ٥٢٣ ٠

حبيب مسعود ــ جبران خليل جبران ــ الضاد ٤ : ٤٩

عيسى اسكندر المعلوف ــ رسائل جبران خليل جبران الى جميل المعلوف ــ الاديب ٤ / ١٩٥١ ٠

الأب طانيوس منعم ــ الأدب الجبراني تاريخ ثورة ــ الاديب ٤ ، عدد ٢ ٠

عيسى الناعوري ــ الى روح جبران ــ العرفان ٣٩ (١٩٥٠) ٠

عيسى الناعوري ــ عند قبر جبران ــ الاديب ١٠ عدد ٧ (١٩٥١) ٠

عيسى الناعوري ــ مع بربارة يونغ ــ في كتابها : هذا الرجل اللبناني ــ الاديب ١١ ، ١٠ (١٩٥٤) ٠

ميخائيل نعيمه ــ هدية الموت ــ الحديث ٩ : ٥١

نعيم هاشم ــ مات جبران خليل جبران ــ العرفان ٢٢ : ١٢٣ ٠

مجلة الاديب ــ جبران باللغات الأجنبية ، مجلد ٥ عدد ٨ .

مجلة الأندلس الجديدة ، عدد ايلول ــ تشرين الاول ١٩٣٤ .

مجلة الاندلس الجديدة ، عدد ايلول ــ تشرين الأول ١٩٣٤ .

الحديث ــ جبران في نظر الأدب البرازيلي ــ مجلد ٢٥ (١٩٥١) .

الحديث ــ رأي أديب مصري في جبران والريحاني ونعيمه ــ مجلد ٧ : ٣٤١ .

الرسالة ــ الحفلة السنوية لجبران ، عدد ٢٧١ : ١٥١٦

المصادر الاجنبية :

Khalil Hawi - Kalil Gibran ' Back - ground Charceter and wants - Beirut 1963 .

Nadim Neimy - Mikhail Naimy, an introduction — Beirut 1967 .

مؤلفات نعيمة :

الآباء والبنون طبعة ٣ ، دار بيروت ــ بيروت ١٩٥٩ .

ابعد من موسكو ومــن واشنطــن ، دار بيروت ــ بيروت ١٩٥٩

اكابر ، مطبعة قلفاط ــ بيروت ١٩٥٦

الأوثان . مطبعة دار بيروت ــ بيروت ١٩٥٨

البيادر ــ دار صادر ــ بيروت ١٩٥٨

جبران خليل جبران دار صادر ــ بيروت ١٩٦٤

دروب ــ دار صادر ــ بيروت ١٩٦٠

زاد الميعاد ــ دار صادر ــ بيروت ١٩٦٠

سبعون ــ دار صادر بيروت ١٩٦٠

صوت العالم ــ دار المعارف مصر ــ ١٩٤٤

الغربال ــ دار المعارف مصر ــ ١٩٥٧

في مهب الريح ــ دار صادر ١٩٥٩

كان ما كان ــ دار صادر بيروت ١٩٦٠

كتاب مرداد منارة وميناء ــ دار صادر بيروت ١٩٥٩

كرم على درب ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٦
لقـاء ـ مكتب صادر بيروت ـ ١٩٥٢
مذكرات الأرقش ـ مكتبة صادر بيروت ـ ١٩٥٩
المراحل ـ مكتبة صادر بيروت ـ ١٩٣٣
النور والديجور ـ مكتبة صادر ـ بيروت ١٩٥٨
همس الجفون ـ مكتبة صادر ـ بيروت ١٩٥٣
مختارات من مخائيل نعيمة ـ مكتبة صادر بيروت ١٩٥٢ .

Naimy Mikhail : Khalil Girban , Philosophical New York , 1950
Naimy Mikhail : Memoirs of a vagrant soul, philosophidal library - New York, 1952
Naimy Mikhail : The book of mirdad , a light house and haven, Sader , Beirut 1948
Naimy Mikhail : Till we meet .. and twelve other stories, Indian institute ef world culture, India, 1957

كتب تناولته بالبحث :

مارون عبود ـ جدد وقدماء ـ المطبعـة التجاريـة

بيروت ١٩٥٤

مارون عبود ــ على الطائر ــ دار الشمالي للطبع لبنان ١٩٥٧

مارون عبود ــ على المحك ــ دار العلم للملايين بيروت ١٩٤٦

مارون عبود ــ في المختبر ــ المطبعة البولسية لبنان ١٩٥٢

مجددون ومجترون ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٤٨

حسن محمد عبد الغني ــ اعلام من الشرق والغرب ، دار الفكر العربي مصر ١٩٤٩ .

الخوري يوحنا ــ رد على مخائيل نعيمه في مرداد ، المطبعة المخلصية صيدا ١٩٥٦ .

محمد يوسف نجم ــ المسرحية في الأدب العربي الحديث ــ دار بيروت ٦ .

المجلات :

الآداب ــ بيروت ١٩٥٣ ــ ١٩٦٠

ميخائيل نعيمه ــ مجد القلم السنة ١ عدد ١ ص ٣

ميخائيل نعيمه : الأدب والدولة السنة ١ عدد ٢ ص ٣

ميخائيل نعيمه : رسالة موجزة الى المجلة سنة ١ عدد ٣ ص ٧٧ •

ميخائيل نعيمه : ثائران وقصة سنة ٢ عدد ١ ص ٢

ميخائيل نعيمه : نسيب عريضة شاعر الطريق سنة ١ عدد ٥ ص ٦

ميخائيل نعيمه : رأيي في مؤلفاتي سنة ٢ عدد ٢ ص ٧

ميخائيل نعيمه : هل يعيش ادبنا حياتنا سنة ٣ عدد ٥ ص ١٧

ميخائيل نعيمه : قصة انسان من لبنان سنة ٣ عدد ٧ ص ٧٦

ثورتنا الأدبية الأولى سنة ٨ عدد ١ ص ٧

ميخائيل نعيمه : ثورتنا الأدبية الاولى سنة ٨ عدد ١ ص ٧

ميخائيل نعيمه : رأي آخر في رواية (الخندق الغميق) سنة ٧ عدد ٢ ص ١٢

الاديب ــ بيروت ١٩٤٢ ــ ١٩٦٠

ميخائيل نعيمه : القصر والمعمل سنة ١ عدد ٤ ص ٣

ميخائيل نعيمه : بلاد دينها فمها سنة ١ عدد ١١ ص ٢

ميخائيل نعيمه : مناجاة سنة ١ عدد ١٢ ص ٤

ميخائيل نعيمه : ماهية الادب ومهمته سنة ١٣ عدد ٦ ص ٦٧

ميخائيل نعيمه : رسالة الى سميرة عزام سنة ١٥ عدد ١٠ ص ٦٧ .

الثقافة المصرية ــ القاهرة ١٩٣١

بشر فارس : لمحة عن أدب لبنان سنة ١٩٤٢ عدد ١٧٩ ص ١٢

الجمهور ــ بيروت ــ ١٩٣٦ ــ ١٩٤٣

الياس ابو شبكة : هل كان نعيمه باهتا مغتابا سنة ٢ عدد ٢٠ ص ٨

الياس ابو شبكة : كان ما كان سنة ٢ عدد ٤١ ص ٥

ميخائيل نعيمه : في تكريم اميلي سرسق عدد ٦١ سنة ٢ ص ٦

ميخائيل نعيمه : في العاصفة سنة ٧ عدد ٨ صفحة ١

الحكمة ـ بيروت ـ ١٩٤١ ـ ١٩٥٤

الياس ثابت : في نقد مذكرات الأرقش سنة ٣ عدد ٥ ص ٤٩

ميخائيل نعيمه : رسالة من نعيمه الى يوسف يونس سنة ٣ عدد ٨ ص ٥٨

ميخائيل نعيمه : رسالة آدم البدء وادم النهاية سنة ٤ عدد ٥ ص ٥

ميخائيل نعيمه : فضل الشعراء المهجريين على الشعر الحديث سنة ٤ عدد ٧ ص ٢٨ .

الرسالة اللبنانية ـ بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧

جورج ابو سعدى : ميخائيل نعيمه يقول : مرداد احب كتبي الي سنة ٢ عدد ١ ص ١٨

ميخائيل نعيمه : جبران في ذروته سنة ١ عدد ١ ص ٢

جورج جرداق : شخصية العدد ميخائيل نعيمه سنة ٢ عدد ٢ ص ٣٨

ميخائيل نعيمه : دستوئفسكي نصير الخير في الانسان سنة ٢ عدد ٣ ص ٦

ميخائيل نعيمه : رشيد ايوب شاعر الحسرات والحنين سنة ٢ عدد ١١ ص ١

عيسى الناعوري: جبران خليل جبران بين بربارة يونغ وميخائيل نعيمه سنة ٣ عدد ٤ ص ٦٢

الرسالة (المصرية) مصر ١٩٣٣ – ١٩٥٣

خليل الهنداوي : هوذا تاريخ انسان سنة ٣ عدد ٩١ ص ٥١٩

خليل الهنداوي : هوذا تاريخ انسان سنة ٣ عدد ٩٢ ص ٥٥٩

ميخائيل نعيمه : الى دوده سنة ٧ عدد ٣١٩ ص ١٦٠٧

حبيب الزحلاوي: في غربال ميخائيل نعيمه سنة ١٤ عدد ٦٧٢ ص ٥٥٨

مناور عويس : مع ميخائيل نعيمه في همس الجفون سنة ١٥ عدد ٧٥٢ ص ١٣١٨

العصبة الاندلسية سان باولو ١٩٣٥ – ١٩٤٧

طنوس نصر : نقد ميخائيل نعيمه لنقده جبران سنة ٥ عدد ١ ص ٧٢٩

ميخائيل نعيمه : عالــم جن جنونــه سنة ٩ عدد ٧ ص ٧٤٧

ميخائيل نعيمه : هل الحب اعمى سنة ١٠ عدد ٧ ص ٧٤٢

ميخائيل نعيمه : البقرة المريضة سنة ١٢ عدد ٨ و ٩ ص ٦٩٢

المراحل سان باولو ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠ ٠

ميخائيل نعيمه : فصل من مرداد سنة ٢ عدد ١ ص٢٧

ميخائيل نعيمه : لقاء (قصة) سنة ٢ عدد ٢ ص ٧٣

ميخائيل نعيمه : حدثني جبران سنة ٢ عدد ٦ ص ٩

ميخائيل نعيمه : اكابر سنة ٢ ص ٣٢ عدد ٨ و ٩

جوزيف صدقي : ناسك الشخروب في عزلته سنة ٢ عدد ٥ ص ٣٣

ميخائيل نعيمه : بنان النازح ولبنان الرازح سنة ٢ عدد ٨ ص ١٦

ميخائيل نعيمه : العرب بين القول والعمــل سنة ٣ عدد ٢٥ ص ٢٩

ميخائيل نعيمه : الحلفاء الاستعمار سنة ٣ عدد ٣٢ ص ٢٧ ٠

ميخائيل نعيمه : الشيوعية والالحاد سنة ٥ عدد ٤٩ ص ٢٠

المعرض الاسبوعي ـ بيروت ١٩٢١ ـ ١٩٣٥

ميخائيل نعيمه : جبران خليل جبران سنة ١٣ عدد ١٠٣٨ ص ١٦

فؤاد حبيش : اسطورة جبران كما يتخيلها نعيمه سنة ١٤ عدد ١٠٤٥ ص ٨

اميل ضومط : جبران وميشا سنة ١٤ عـدد ١٠٥١ ص ١٤ •

صلاح لبكي : النعيمه في كتابه عن جبران ص ٨ سنة ١٤ عدد ١٠٥٣

ميخائيل نعيمه : مدينة السلام سنة ١٤ عدد ١٠٥٥ ص ١٠ •

المقتطف ـ مصر ـ ١٩٣٤ ـ ١٩٤٣ •

ميخائيل نعيمه : الفن الأكبر م ٩٣ عدد ٦ ص ٢٣ .

ميخائيل نعيمه : التوأمان الشرق والغـرب م ١٠٢ عدد ٢ ص ١٢١

ميخائيل نعيمه : التوأمـان ـ غرب حاكـم وشرق

محكوم م ١٠٢ عدد ٥ ص ٤٢٨ .

ميخائيل نعيمه : طائر الفينكس م ٨٤ عدد ١ ص ١٧

المكشوف مصر - ١٩٣٦ - ١٩٤٤ .

ميخائيل نعيمه : قبور تدور سنة ٣٦ عدد ٤٣ ص ٧

العقيقي : ميخائيل نعيمه في صومعته سنة ٣٦ عدد ٧٠ ص ٨

يوسف الخال : هل صاحب الشخروب صاحب رسالة روحية سنة ٣٧ عدد ٨٥ ص ٧ .

خليل تقي الدين : على خوان زاد المعاد سنة ٣٧ عدد ٨١ ص ٢

ميخائيل نعيمه : صومعة جبران كما رآها نعيمه ووصفها سنة ٣٧ عدد ١١١ ص ١١ .

يوسف ابي رزق : جبران ونعيمه سراجان على منارة واحدة سنة ٣٩ عدد ١٩٩ ص ١٤

ميخائيل نعيمه : الكون رغوة وصفوه سنة ٤٠ عدد ٢٧١ ص ٣

ابن جبير : اثر ادباء روسيا في ميخائيل نعيمه سنة ٤١ عدد ٣٢٥ ص ١ .

الهـلال مصر .

ميخائيل نعيمه : نحن احسن ام اباؤنا سنة ٤٧ عدد ٣ ص ٤٧

ميخائيل نعيمه : حكاية الشرق والغرب سنة ٤٧ عدد ٦ ص ٤٩

ميخائيل نعيمه : هل المرأة لغز يحل سنة ٤٧ عدد ١٢ ص ٣٤

ميخائيل نعيمه : التلميذ البطل سنة ٤٨ عدد ١٠ ص٦٦

ميخائيل نعيمه : في خريف العمر سنة ٤٩ عدد ٥ ص ٦٤

ميخائيل نعيمه : اصغر الناب سنة ٤٩ عدد ٧ ص ٧ .

ميخائيل نعيمه : مجموعة الرابطة القلمية ، المطبعة السورية الامريكية نيويورك ١٩٢١ .

محتويات الكتاب

١ ـ الكتاب رواية لا سيرة •

٢ ـ تحامل نعيمه على جبران وكيف يظهر بصورة

خاصة بمقارنة بين علاقة الاثنين بالنساء •

ـ هل الذي كتبه نعيمه قد كتبه وفاء للحقيقة والتاريخ او كان جبران بالنسبة لنعيمه موضوعا دسما لرواية فنية ؟

ـ هل الذي كتبه نعيمه قد كتبه ليبين صراع جبران « المستتب مع نفسه لينقيها من كل شائبة » دون ان يكون قد قصد الغمز من قناة جبران او التحامل عليه ؟

ـ هل ابتغى نعيمه اظهار أثر المرأة في ادب جبران كما سبق واظهر اثرها في أدبه هو ؟

ـ هل كان جبران نبأ كاذبا ؟

ـ هل قلد جبران نيتشه في (النبي) وعمل بشكل يناقض محتوى هذا الكتاب ؟

٣ ـ السبب الكامل وراء تحامل نعيمه على جبران (الوصية) ، رأي جبران بأدب نعيمه ، طمع نعيمه بمركز جبران الأدبي) •



بين نعيمه وجبران

* جبران .. نبيّ هرب من روحانية الشرق ، فاصطدم بمادية الغرب .. فقفل راجعاً الى روحانية الشرق الرومانسيّة من جديد .

* نعيمه .. رفيق جبران ، والذي سلَقَه منتقداً ثم سار على دربه نفسه .. تُرى هل أخذ نعيمه أفكاره عن جبران ، ثم غمطه حقّه وتجنّى عليه .. وادّعى لنفسه ما ليس له ..

أم أن نعيمه هو المصدر الذي كثيراً ما استقى منه جبران ذي العُقد النفسيّة الكثيرة ، والنبيّ المزيّف ..

هذا ما يعرضه كتاب « بين نعيمه وجبران » ..
